قوس قزح

قوس قزح

تأليف :
د.أحمد خالد توفيق
د.تامر إبراهيم

تصميم الغلاف:
أحمد مراد

رقم الإيداع: 2018/23448
الترقيم الدولي: 978-977-820-061-4
الطبعة الأولي .. يناير ٢٠١٩

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع
٢٢ ش الشهيد الحي بجوار متروضواحي الجيزة - الهرم
هاتف أرضي: 0235688678- 0235611772
هاتف محمول: 01000405450-01001872290
بريد إلكتروني: info@kayanpublish.com - kayanpub@gmail.com
الموقع الرسمي : www.kayanpublish.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أوإعادةِ طبعٍ أونشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أوالكترونيةً أوبأيةِ وسيلةٍ سمعية أوبصرية دون إذنٍ كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

قوس قزح

د.أحمد خالد توفيق

د.تامر إبراهيم

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر..أزرق.. نيلي.. بنفسجي.....

إنه قوس قزح..

لا حقائـق ولا مسـلمات.. إنمـا هوالضـوء يمـارس خدعتـه السرمديـة في شـبكيات عيوننـا..

الأبيـض لا وجـود لـه بـل هوسـبعة الألـوان وقـد جاءت معـاً... الأسـود لا وجـود لـه إنمـا هوسـبعة الألـوان وقـد غابت معـاً...

تدنومـن الـشيء أوالشـخص أوالحقيقـة، فتـدرك أنـه ليـس واحـداً.. وأن التجانـس المزعـوم وهـم.. هنـاك حقيقتان..ثـلاث حقائـق.. ربمـا سـبع... ربمـا لا حقيقـة عـلى الإطـلاق..!

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر..أزرق.. نيلي.. بنفسجي.....

إنه قوس قزح...

الهـواء مبتـل قشـيب اغتسـل بالأمطـار لتـوه، وعنـد طـرف قـوس قـزح تجـد قـدر الذهـب الـذي دفنـه القـزم.. كـذا قالـوا في الأسـاطير.. تجـد السـعادة.. تجـد الحقيقـة....

بنفسجي.. نيلي..أزرق.. أخضر.. أصفر.. برتقالي... أحمر..

اليـوم نحـكي لـك كيـف أن قـوس القـزح قـد يكـون مخيفـاً.. كيـف تصـير الألـوان مرعبـة أو-- عـلى أقـل تقديـر - ليسـت كمـا وجـدت في خيـالات طفولتنـا..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر..أزرق.. نيلي.. بنفسجي.....

قوس قزح..

وسبع قصص تحكي عن الألوان..

سبع حكايات عن قوس قزح.....

كانت الفكرة والمقدمة للدكتور (أحمد خالد توفيق).. وبعد هذا اختار أحد المؤلفين أن يكتب عن ثلاثة ألوان واختار الآخر أربعة. فمن اختار ماذا؟.. سنترك السؤال معلقاً.. فهل تجيب عنه أنت؟..

د. أحمد خالد توفيق

ود. تامر إبراهيم

أحـمـر

يقول السيد (منير) وهويلفظ الدخان من غليونه:

((اللـون الأحمـر يـا بـني هوأهـم ألـوان الطيـف وأكثرهـا عمقًـا وتأثـيرًا.. إنـه لـون الـدم.. لـون الحـب.. لـون الزهـور.. لـون الفجـر والغـروب.. والأهـم مـن هـذا كلـه أنـه لونهـم!!))

***

وكان المقطم هوالمكان الأمثل، لما انتوينا فعله...

دائمًـا مـا تصلـح فيـلات المقطـم في تنفيـذ أي مخطـط.. وهــذه قاعــدة مطلقــة..

لا بــد أن يستنســخوا البــشر ويصنعــوا المخــدرات ويأكلــوا المــوتى ويشربــوا الدمــاء فى هــذه الفيــلات...

على كل حال أنا ذاهب لما هوأسوأ...!!!

السـيد(منير) هومـن أيقظني ليخـبرنى أنها الليلـة الموعودة،فلم أكـد أصـدق نفـسي وأنـا أقفـز في سـيارتي لأنطلـق إلى هنـا.. إنهـا الليلـة الموعـودة، ولكـم طـال الإنتظار..

أوقفـت سـيارتي أمـام تلـك الفيـلا الـتى تبدومهجـورة لمـن يراهــا مــن الخــارج، وجلســت لحظــة لأمــلأ جســدي بــدفء

السيارة، قبل أن أخرج إلى حيث تضربنى الرياح بلا هوادة، بأسهم من الثلج...

ومن حقيبة السيارة أخرجت تلك الحقيبة الجلدية الضخمة، لأحملها بنوع من المشقة متجهًا إلى مدخل الفيلا...

إننى أتذكر... ثلاث طرقات ثم طرقتين متباعدتين، ثم هأنذا أنتظر حتى يفتح الباب، ليستقبلنى السيد (منير) بدخان غليونه...

أنا لم أر هذا الرجل إلا وهويدخن الغليون، وإننى لأتساءل عن الكيفية التى يبقى معها غليونه مشتعلاً طيلة الوقت... أحيانًا أشعر أنه ينفث لهبًا من فمه فى هذا الغليون!

كان عمليًا كدأبي به، فاستقبلني قائلاً:

- «هل أحضرت المطلوب؟!»

دققت على حقيبتى الجلدية، وأنا أومئ برأسي إيجابًا، فأفسح لى الطريق، لأعود إلى دفء الأماكن المغلقة... وفى الداخل كان الباقون فى انتظاري...

السيد(علاء) بقامته الضئيلة وجسدة المكتنز، والسيد (رضا) بنظراته العصيبة المتوترة، والسيد(فهمي) بملامحه الأرستقراطية الجامدة...

حيوني بهزّ الرأس، فاتخذت مكاني جوارهم، حتى أتى السيد (منير) وهويمرر أصابعه فى خصلات شعره الأشيب، ليقول بذات العملية والغليون مدلى من فمه:

- «سنبدأ حالاً... لذا على من يريد التراجع أن يعلمنا من الآن...»

لم يتلق ردًا، فنفث المزيد من الدخان واتجه إلى باب أحد الغرف، قائلاً بحيادية:

- «اتبعوني رجاءً...»

وهكذا تبعناه صاغرين إلى الغرفة التى لم نكد نراها، حتى بدت الدهشة فى ملامحنا، وإن لم يجرؤ أحدنا على النطق بحرف...

على الأرض رسمت النجمة الخماسية الشهيرة، وقد استقرت خمسة مقاعد عند أطراف النجمة، بينما استقر ذلك الشيء عند مركز الدائرة، لنشعر أنه يجثم على صدرونا بلا رحمة...

أقول هذا الشيء لأننا لم نعرف له اسمًا وإن كنّا قد اتفقنا فيما بيننا على تسميته (لوح الحقيقة)...

كان يبدوكلوح حجري مصمت، استقرت فى طرفه بلورة زجاجية شديدة الشفافية، وعلى اللوح نفسه حفر فراغ لا يحتاج المرء لأن يكون خبيرًا، ليعرف أنه مصمم بحيث يستلقى جسد فى هذا التجويف... جسد آدمي...!

استقر(فهمي) و(رضا) و(علاء) فى مقاعدهم وملامحهم تنضح بالإنفعال، بينما ظللت أنا واقفاً حاملاً حقيبتى الضخمة، منتظرًا إشارة السيد(منير) الذي أومأ لي برأسه موافقًا، فوضعت الحقيبة على الأرض بحرص، ونزلت على

ركبـتى لأفتحهـا...

واسـتقبلني ثـلاث شـهقات مـن السـادة الجالسـين، وأنـا أخـرج مـن الحقيبـة جسـد ذلـك الطفـل، الـذى بـدا واضحًا من شـحوب جسـده، وتلـك الدمـاء الجافـة عـلى رأسـه أنـه مـات منـذ زمـن، وأن جثتـه كانـت محفوظـة لفـترة طويلـة، ممـا حـال أن تبـدأ فى التحلـل...

وحـده السـيد(منير) الـذي ظلـت ملامحـه جامـدة وأنـا أسـجى الجسـد الضئيـل فى التجويـف، قبـل أن أتخـذ مقعـدي عنـد أحـد أطـراف النجمـة الخماسـية، تلاحقـنى نظـرات السـادة الجالسـين غـير المصدقـة...

وبتـؤدة جلـس السـيد(منير)، وظـل صامتـا لدقيقـة كاملـة، كأنمـا يمنحنـا الفرصـة لنسـتعد، قبـل أن يبـدأ فى نفـث الدخـان والـكلام فى وجوهنـا:

- « أنتـم تعرفـون مـا نحـن مقدمـون عليـه أيهـا السـادة، لكـن دعـوني أنعـش ذاكرتكـم... نحـن هنـا لنسـتخدم لـوح الحقيقـة، الـذي ظـل لغـزًا لـكل الباحثـين والمؤرخـين عـلى مـرّ الزمـان...» كنـت أعـرف مـا سـيقوله بالضبـط، لـذا غبـت فى حالـة الـشرود، وعينـاي معلقتـان عـلى جثـة الطفـل السـاكنة، والـتى لـولا الدمـاء الجافـة الـتى غطـت وجهـه، لظننـت أنـه نائـم وسيسـتيقظ فى أيـة لحظـة...

لكنـه لـن يسـتيقظ... أنـا أعـرف هـذا وأثـق فيـه بحكـم كـوني

طبيبًا... حادث سيارة أدى إلى شرخ فى الجمجمة وتهتك فى خلايا المخ... موت سريع لكنه غير نظيف، مع كل الدماء التى فقدها الطفل ووالداه المذعوران يحملانه إلى المستشفى، علّنا نحن الأطباء نأتي بمعجزة ما، تعيد الحياة إلى جسده الضئيل...

لكن الحقيقة كانت جلية أمام أعيننا ومنذ اللحظة الأولى... هذه حالة منتهية، وكل ما علينا فعله هوتهدئة والديه الموشكين على الجنون هلعًا...

- « لوح الحقيقة صنعه السحرة في العصور الغابرة، والغرض منه استدعاء كيان ما غير محدد الهوية، هذا الكيان يحتل الجثة التى توضع فى تجويف اللوح...»

حين كنت طالبًا فى كلية الطب، أخبرنا أحد الأساتذة،أن أقسى لحظة سنمر بها، حين نخبر أهل المريض بوفاته... ستتعرض إلى عاصفة من الهلع والإستنكار وعدم التصديق، لكنك مع الوقت ستعتاد هذه المهمة الشاقة، وستؤديها بصفة روتينية...

أنا اعتدت هذه المهمة الشاقة، بل ووصلت إلى الدرجة التي انتظرت فيها خروج والدي الطفل وهما في حالة انهيار تام، لأحمل جثة طفلهما فى حقيبة مليئة بالثلج، لأنقلها إلى ثلاجة معدّة خصيصًا لهذا الغرض فى داري، انتظارا لليلة الموعودة...

- ((حـين يحتـل هـذا الكيـان الجسـد الراقـد عـلى اللـوح، يحركه وينطـق عـن طريقـه... الميـت لا يعـود للحيـاة، لكـن هذا الكيـان يسـتحوذ عـلى جسـده ويسـخره لـه... ونحـن نسـخره لنـا ليخبرنـا بالحقيقـة..))

بالطبـع لـم يمـرّ اختفـاء جثـة الطفـل مـن المستشـفى مـرّ الكـرام... كان هنـاك صراخ والديـه، وتحقيقـات واتهامـات وأخبـار فى الصحـف وفى نهايـة الأمـر... لا شيء!

تـم اعتبـار أن الطفـل دفـن بهويـة مختلفـة عـن طريـق الخطأ، وتلقـى والـداه تعويضًـا محترمًـا سيسـاعدهما عـلى انجـاب طفـل آخـر، وظلـت أنـا بمنـأى عـن أي شـك...

ما الذي سيدفع طبيباً محترماً مثلي إلى سرقة جثة طفل؟!!

- ((الحقيقـة هـي مـا سـنحصل عليـة الليلـة.. حقيقـة المـاضى وحقيقـة المسـتقبل.. سـؤال واحـد لـكل منـا قـد يفتـح لـه أبـواب المجـد والـثراء وقـد ينقـذ حياتـه لوكانـت سـاعته قـد أوشـكت... لـذا اختـاروا أسـئلتكم بحـرص شـديد...))

كانت هذه هى اللحظة التى تبادلنا فيها النظرات...

سـؤال واحـد لـكل منـا... تـرى أي سـؤال سـتختاره لوكنـت مـكانى؟!

فكـر جيـدًا... فإجابـة سـؤالك، وكمـا قـال السـيد(منير) قـد تفتـح لـك أبـواب الـثراء، وقـد تنقـذ حياتـك لوكانـت سـاعتك أوشـكت...

أنـا أعـرف عـن مـاذا سأسـأل، وسـؤالي أيهـا السـادة سـيدرّ عـليّ الملايـين... ملايـين زوجـتى الراحلـة!

تلـك اللعينـة أخفـت عـني ثروتهـا قبـل أن تمـوت، بعـد أن أدركـت أن هـذا سـبب زواجـي منهـا فى المقـام الأول...

تلك الحمقاء!!... لماذا تظن أنني تزوجتها إذن؟!!

أي شـاب يـتزوج امـراة يتجـاوز عمرهـا ضعـف عمـره، هدفـه واضـح وصريـح وإن أنكـر الجميـع هـذا...

لا مـكان للعواطـف أولعقـدة (أوديـب) هنا...إنـني (إنديانـا جونـز) الباحـث عـن الـثروة، وتلـك الحمقـاء تملـك الكثـير... بـل الكثـير جـدًا...

قطع السيد (علاء) حبل أفكارنا، بسؤال ساذج:

- سؤال واحد؟!... فقط؟!!

أومـأ السـيد (منـير) برأسـه إيجابـا، ثـم واصـل بـث الـشرح ونفـث الدخـان:

- ((ثمـة شيء آخـر يجـب أن تحـذروا منـه... هـذا اللـوح يفتـح البـاب بـين عالمنـا وبـين عالـم آخـر لا يعلـم إلا الله مـا الـذى يوجـد فيـه... لـذا فهـذه البلـورة الزجاجيـة سـتكون بمثابـة جهـاز الإنـذار لنـا... حـين تتألـق البلـورة باللـون الأخـضر سـيعني هـذا أن الإتصـال بيننـا وبـين العالـم الآخـر قـد نجـح... وحـين تتألـق باللــون الأزرق سـيعنى هــذا أن الكيــان الــذي سـيجيب عــلى أسـئلتنا قـد حـضر...))

ثم ابتلع ريقه، ليضيف:

- ((المشكلة ستكون حين تتألق البلورة باللون الأحمر، ففي هذه الحالة يعنى هذا أنهم حضروا...اللون الأحمر هولونهم...))

جاء دور (رضا) ليهتف بعصبية:

- ((من هم بالضبط؟! لست أفهم شيئًا من هذا الكلام الملغز...))

أخذ السيد (منير) يعبث في غليونة، وهويجيب:

- ((كما قلت آنفًا، لا يعلم إلا الله ما يحويه هذا العالم الآخر... لكن اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما فى هذا العالم وأشده خطورة... لوتألقت هذه البلورة باللون الأحمر فسيعني هذا أن فرصتنا فى النجاة من هذه التجربة ضئيلة، لذا أكرر... من يرد الإنسحاب فليتفضل مشكورًا من الآن، فلا مجال للتراجع إذا بدأنا...))

ألجم الصمت الذى حلّ على المكان ألسنة الجميع، فعدت إلى خواطرى المضطربة...

زوجتى بدأت تفهم الحقيقة منذ عام واحد تقريبًا... كانت مسنة لكنها إمرأة، لذا كانت تفهم معنى تأخرى الدائم عن المنزل ومعنى تلك الإتصالات الغامضة، التى يغلق أصحابها الخط فى وجهها إن ردت هي...

هناك أخرى... وربما أكثر من واحدة... وهذه هي

الحقيقـة!!

وحـين واجهتـنى، كنـت قـد سـأمت بقاءهـا عـلى الحيـاة حـتى هـذا الوقـت، لـذا صارحتهـا بالحقيقـة بـبرود وقسـوة، عـلّ الصدمـة تحقـق لي هـدفي في مـيراث سريـع ومضمـون...

لكنهـا -اللعينـة- تلقـت الصدمـة بالهسـتريا والدمـوع وبإخفـاء ثروتهـا عـني حـتى لفظـت أنفاسـها فى أحـد الليـالي وهـى تنعتـنى بأقـذع الألفـاظ...

مـا لـم تعرفـه هـي حـتى النهايـة، أن وفاتهـا لـم تكـن طبيعيـة... لـم تكـن كذلـك أبـدًا!!

- ((هل سنبدأ أم ماذا؟!))

قالهـا السـيد(منير)هذه المـرة، ليجيبـه صمتنـا بالإيجـاب، فقـال:

- ((ليخرج الكل الأوراق التى وزعتها عليكم...))

أخرجـت تلـك الورقـة المطويـة مـن جيـب معطفـى، وفضضتها لتجـري عينـاي عـلى تلـك الأسـطر اللاتينيـة الـتى كتبهـا السـيد (منـير) بخطـه الأنيـق المنمـق...

لسـت أفهـم حرفًـا ممـا أمامـي الآن... لقـد شرح لنـا السـيد (منير)المعـنى مـن قبـل، لكنـني نسـيته...على كل حـال إنهـا ليسـت قصيـدة شـعر، ولا ينبغـي عـليّ أن أقـرأ مـن القلـب!!

عبث السـيد (منـير) بأحـد الأزرار فى الحائـط وراءه، فانخفضت الإضـاءة في الغرفـة للحـد الـذي أصبحنـا فيـه نـرى بعضنـا

البعـض بالـكاد، ثـم وضـع غليونـه - أخـيرًا - جانبًـا، لنبـدأ فى ترديـد التعويـذة...

« ما نياس... ركاكس... تينوس... ما ساسيس»

كلمـات كتبهـا السـحرة فى العصـور الغابـرة، ترددهـا حناجرنـا المرتجفـة، وأعيننـا معلقـة عـلى جثـة الطفـل وعـلى البلـورة الزجاجيـة...

« ما نياس... ركاكس... تينوس... ما ساسيس»

تتألـق البلـورة باللـون الأخـضر لنعـرف أننـا عـلى الطريـق الصحيـح، فأثبـت عينـي عـلى وجـه الطفـل الملطـخ بالدمـاء الجافـة منتظـرًا لحظـة الحقيقـة...

« ما نياس... ركاكس... تينوس... ما ساسيس»

اللـون الأخـضر يـزداد تألقًـا ثـم يتحـول إلى الأزرق الشـاحب البـارد، ليضفـي عـلى جلسـتنا الرهيبـة هـذه مذاقًـا خاصًـا...

« ما نياس... ركاكس... تينوس... ما ساسيس»

الان تحـدث المعجـزة، ونـرى بأعيننـا المتسـعة ذهـولاً ووجـلاً، تلـك الرجفـة الـتى تمـر عـلى جفـني الطفـل، ثـم نـراه يفتـح عينيه ببـطء، لتحـدق الجثـة بعينـين لا تريـان فى سـقف الغرفة...

كان (عـلاء) يرتجـف هلعًـا... و(رضـا) يرتجـف انفعـالاً... و(فهمـي) يجاهـد للحفـاظ عـلى تماسـكه بينمـا، تبـدت اللهفـة فى عيـني السـيد(منير)، وهويـرى الإتصـال يتـم بنجـاح...

« ما نياس... ركاكس... تينوس... ما ساسيس»

الآن تتحـول البلـورة إلى اللـون الازرق... والآن أتذكـر كيـف قـررت ذات يـوم أن أنهـي حيـاة زوجـتى التعسـة بيـديّ، مـا دامـت تـصرّ عـلى البقـاء حيـة...

خـبرتى كطبيـب كانـت تعـني أن التنفيـذ سـيكون سـهلاً، لكـن الصعوبـة تكمـن فى اتخـاذ القـرار ذاتـه...

صحيـح أنـني كنـت أكـره تلـك العجـوز الشـمطاء مـن أعمـق أعمـاق قلـبي، لكـن أن أراهـا تمـوت كل يـوم بتأثـير ذلـك السـم البطـيء الـذى كنـت أدسـه بإنتظـام فى دوائهـا، كان تعذيبًـا حقيقيًـا لأعصـابي...

كنت أراها... تضعف... تنهار... تذوي... تتلاشى...

ولقد كانت هي تشعر أنني السبب فى هذا كله؟!!

- من سيبدأ؟!!

قالهـا (عـلاء) بصـوت مرتجـف، فأجابـه السـيد (منـير) عـلى الفـور:

- ((لا فارق...ابدأ أنت...))

احتشـدت قطـرات العـرق فى جبهـة السـيد (عـلاء)، ونطـق بصـوت مختنـق انتزعـه مـن حلقـه انتزاعًـا:

- «سؤالي هو.. هو.. هل توجد طريقة كي لا أموت؟!!»

ها هوذا أول سؤال للوح الحقيقة يبحث عن سر الخلود...

وكأنمـا يدفـع السـيد(علاء) هـذا الإتهـام عـن نفسـه، قـال دون

أن ينظـر لأحدنـا:

- «إنني أموت... تليف في الكبد...»

بالطبـع كان هـذا كافيًـا لي لأفهـم... تليـف الكبـد الناتـج مـن الإسراف فى شرب الكحوليـات..لا عـلاج لـه....!!

تعلقـت أعـين الجميـع عـلى وجـه الطفـل الـذى ظـل سـاكنًا كأي جثـة، ثـم وببـطء شـديد فتـح الطفـل فمـة لـيزوم...

لـيزوم بصـوت ثابـت عميـق لا يمكـن أن يصـدر عـن طفـل بـأي حال مـن الأحـوال...

وبتوتر هتف السيد (رضا):

- ما هذا..؟!

لكـن السـيد(منير) أخرسـه بإشـارة مـن يديـه، لتظـل الكـرة فى ملعـب جثـة الطفـل...

الطفل الذى أخذ يزوم بصوت غير بشري...

صوت قادم من العالم الآخر!!

كنـت خائفًـا وهـذا مـا لا يمكنـني إنـكاره.. مـا يحـدث الآن يفـوق قـدرتي عـلى الإسـتيعاب، والسـبب واضـح وصريـح..

هـذا الطفـل ميـت.. جثـة هامـدة لا حيـاة فيهـا مـن أي نـوع، فـأي كيـان هـذا الـذي يسـتخدمها لـيزوم؟!

اسـتمر هـذا الصـوت الرهيـب المنبعـث مـن الطفـل طويـلاً، فاقـترح السـيد (فهمـي):

- «هل.. هل نجرب سؤالاً آخر؟!»

- «لم لا؟!»

- «إذن، فسؤالي هو.. هل.. هل..»

ولسبب ما بدأت ملامحه الأرستقراطية الجامدة ترتجف، ورأيته - لأول مرة منذ عرفته - يتلعثم وهويمسح قطرات عرق وهمية عن جبينه، بمنديل حريري فاخر، ليخرج سؤاله:

- «هل.. تخونني زوجتي حقًا؟!»

تبدت الصدمة في ملامح الجميع، إلا أنني شعرت بحنق بالغ وأنا أتساءل في أعماقي إن كان هؤلاء الحمقى يفهمون الغرض من هذه التجربة حقًا..

الأول يسأل عن علاج لمرضه والآخر يسأل إن كانت زوجته تخونه.. لهذا جئنا بلوح الحقيقة والجثة وقمنا بالمخاطرة في هذه التجربة المخيفة.. من أجل الهراء ذاته!

على كل حال استمر الزوم المخيف المنبعث من جثة الطفل دون أن يجيب على هذا السؤال أيضًا، فتعلقت نظراتنا الحائرة على وجه السيد (منير) الذي أشار لنا بيده إشارة أنه لا يفهم ما الذي يحدث بالضبط..

ودون أن أستأذن، ألقيت بسؤالي علّه يجذب اهتمام الكيان الذي يسطر على جثة الطفل:

- «أين أخفت زوجتي ثروتها؟!»

الطفل يزوم بلا انقطاع كأنه يسخر منا...!

ولـم تحتمـل أعصـاب (رضـا) كل هـذا الإسـتفزاز، فهـب مـن عـلى مقعـده صائحًـا:

- «مـا هـذا العبـث؟!.. هـل سـيجيب هـذا الوغـد عـن أسـئلتنا أم مـاذا؟!»

أثـار تصرفـه المفاجـيء ذعـر السـيد (منـير) الـذي أخـذ يـردد شـيئًا مـا باللاتينيـة، ليتوقـف الطفـل عـن إصـدار تلـك الضوضـاء السـخيفة، ولتنطفـيء البلـورة الزجاجيـة دفعـة واحـدة..

وبغضب هائل صاح السيد (منير):

- «أيهـا الأحمـق.. أتريـد أن تقـضي علينـا جميعًـا بتصرفـك هـذا؟!»

- «إن كنـت أنـا أحمـق، فلمـاذا لا تفـسر لنـا أيهـا العبقـري مـا الـذي يحـدث بالضبـط؟؟»

- «لا بـد أن هنـاك شـيئًا مـا لـم نفعلـه.. هـذا هـوكل شيء.. سـأراجع أوراقي وسـنكرر التجربـة في وقـت لاحـق..»

- «كررها بمفردك إذن، فلن أشارك في هذا السخف ثانية..»

ودون أن ينتظـر ردًا، اندفـع مغـادرًا المـكان بثـورة، ليتركنـا نتبـادل النظـرات الحائـرة..

كان السـيد (عـلاء) شـاردًا يفكـر في كبـده المتليـف وموتـه القـادم لا محالـة، بينمـا بـدا السـيد (فهمـي) مثـيرًا للشـفقة بحـق، وهويحـاول إخفـاء وجهـه بكفيـه، وقـد أفـشى سره أمامنـا عـلى هـذا النحـو، بينمـا اكتفـى السـيد (منـير) بـأن أخـذ يشـعل

غليونه وقد أعاد الإضاءة إلى الدرجة الطبيعية، قبل أن يقول:

- «لا داعي للقلق.. سنكرر التجربة مرة أخرى لاحقًا بعد أن أعرف ما الخطأ بالضبط..»

كانت رسالته التي تطلب منا الرحيل واضحة، فهزّ (علاء) رأسه بشرود، وغادر المكان دون أن ينطق بحرف، بينما وقف السيد (فهمي) وأخذ يبحث في ذهنه عن شيء لائق ليقوله، فلم يجد سوى:

- «ليلة طيبة..»

وغادر المكان ليتركني أشير إلى الجثة قائلاً:

- «وماذا عن هذا؟!»

- «اتركه لي قليلاً.. ربما احتجت له لأفهم ما الخطأ الذي حدث..»

لم أكن متحمسًا للإحتفاظ بالجثة، كما أن الإحباط الذي أصابنا جميعًا، كان يدفعني للإسراع بالمغادرة، فقلت:

- «كما تشاء..»

وغادرت الغرفة.. فالفيلا.. لأنطلق بسيارتي في الشوارع المظلمة بين بيوت المقطم الكئيبة..

ليلة أخرى من عمري تضيع دون أن أعرف أين أخفت زوجتي ثروتها..

ليلة أخرى من عمري لن تعود مجددًا..

***

لكن الليلة لم تنته عند هذا الحد، ولا بد أنك توقعت هذا بصورة أوبأخرى..

كنت قد أوشكت على الوصول إلى منزلي حين دق جرس هاتفي المحمول، فرددت على الفور ليأتيني صوت السيد (منير) يهتف بانفعال لم أعهده فيه قط:

- «(أنور).. تعال فورًا..»

قالها ثم أغلق الخط على الفور دون أن يمنحني فرصة للرد، ودون أن يجيب عليّ إذ أخذت أحاول الإتصال به لأفهم ما الذي حدث..

ثم - وقد تغلبّ فضولي على حنقي - استدرت بالسيارة لأعود إلى المقطم، وأنا أضرب أخماسًا في أسداس.. ترى هل فعلها؟؟

هل نجح؟!

كانت الطرق شبه خالية في هذا الوقت، لذا لم ألق مشقة في العودة إلى تلك الفيلا في المقطم، لأجد أن سيارة السيد (علاء) تقف في الخارج، فضاعف هذا من فضولي، لأخرج من السيارة متجهًا إلى بوابة الفيلا، التي لم أندهش كثيرًا حين وجدتها مفتوحة...

ثمة شيء ما حدث ها هنا، وأنا أشم رائحة هذا الشيء لكني لا أدري كنهه.. تجاوزت الردهة وأنا أنادي بأعلى صوتي:

- «سيد (منير)... (علاااء).. »

لـم يجبـني أحـد فاتجهـت عـلى الفـور إلى الغرفـة الـتي أجرينـا فيهـا التجربـة، وفتحـت بابهـا و.. و..

وكما توقعت أيضًا وجدت الهول ذاته في انتظاري..

كان السـيد (عـلاء) يقـف قـرب البـاب، وجسـده ينتفـض بهلـع وعينـاه جاحظتـان بشـدة، بينمـا أخـذ السـيد (منـير) يزحـف عـلى الأرض تجاهـه وهويمـدّ يـده أمامـه وقـد شـحب وجهـه بصـورة مخيفـة وتسـاقطت خصـلات شـعره عـلى وجهـه، ليبدوكالمـوتى الأحيـاء في أفـلام الرعـب القديمـة، وقـد اكتـسى المشـهد كلـه أمامـي باللـون الأحمـر السـاطع، القـادم مـن البلـورة..

((لكـن اللـون الأحمـر يعـني حضـور أسـوأ مـا فى هـذا العالـم وأشـده خطـورة... لوتألقت هـذه البلـورة باللون الأحمر فسـيعني هـذا أن فرصتنـا فى النجـاة مـن هـذة التجربـة ضئيلـة..)).. هـذا مـا قالـه لنـا السـيد (منـير) وهـذا يعـني أن هنـاك كارثـة رهيبـة موشـكة عـلى الحـدوث، إن لـم تكـن حدثـت فعـلاً..

انتزعت الصرخة من حلقي:

- «سيد (منير).. ما الذي حدث؟!»

بالطبـع لـم يجبـني أحـد، بـل واصـل السـيد (منـير) زحفـه المخيـف هـذا تجـاه (عـلاء) الـذي شـلّه الهلـع تمامًـا، ثـم توقـف السـيد (منـير) أخـيرًا وإن ظـلّ يشـير بيـده الممـدودة عـلى (عـلاء)، لتخـرج الكلمـات مـن فمـه، بصـوت لا يمـت لـه بصلـة:

- «أنت.. أنت ستقيء دمًا حتى تموت..»

قالها ثم تهاوى جسده دفعة واحدة!!

هنا بدأ السيد (علاء) في إطلاق الصرخات الهستيرية، ففقدت أنا أعصابي نهائيًا، وحملت أول مقعد أمامي، لأهوي به على البلورة الزجاجية، لتتهشم بدوي أشبه بالقنبلة..

ساد الظلام الغرفة، ليرتفع صوت صرخات السيد (علاء) الهستيرية أكثر وأكثر، بينما انحنيت أنا على السيد (منير) لأفحصه..

لكنه كان قد مات.. حالة منتهية كما اعتدنا أن نسمي كل من غادروا عالمنا البغيض هذا!!

ما الذي حدث هنا؟!

وأين اختفت جثة الطفل؟!؟!؟!

انتبهت إلى هذه الحقيقة الجديدة، في اللحظة التي دخل فيها السيد (رضا) الغرفة ليضيئها، ولينظر إلى المشهد الرهيب أمامه، قبل أن يهتف بعصبيته المعتادة:

- «ما الذي حدث؟!.. ما الذي..؟»

لكنه بتر سؤاله ليهوي على وجه السيد (علاء) بصفعة هائلة أخرسته على الفور، قبل أن يكرر هو هتافه:

- «ما الذي حدث هنا؟!!»

أجبته محاولاً التماسك:

- «لا أعـرف.. لقـد وصلـت لأجـد أن السـيد (منـير) يمـوت وهويشـير إلى السـيد (عـلاء)، والأسـوأ مـن هـذا أن جثـة الطفـل اختفـت..»

- «ماذا تقول؟!.. (منير) مات!! الطفل اختفى!!»

ثـم وبعمليـة يحسـد عليهـا أسرع مغـادرًا المـكان كلـه، تـاركًا المأسـاة كلهـا عـلى رأسي..!

لـم أجـد أمامـي سـوى (عـلاء) الـذي انهـار يبـكي في ركـن الغرفـة، فانحنيـت عليـه لأسـأله:

- «أخبرني ما الذي رأيته..»

لكـن حالتـه أجابتـني بـأن الحصـول عـلى رد منـه، سـيكون ضربًـا مـن الخيـال، فتركتـه لأبـدأ في البحـث عـن جثـة الطفـل الـتي اختفـت.. لا بـد أنهـا هنـا في مـكان.. لا بـد لأنهـا جثـة رغـم كل شيء..

لكـن نتيجـة بحـثي الـذي لـم يسـفر عـن شيء، جعلتـني أقـف في ردهـة الفيـلا أرتجـف.. الجثـة اختفـت.. السـيد (منـير) مـات.. والسـيد (رضـا) هـرب، ولا بـد أن (فهمـي) في الطريـق إلى هنـا، بينمـا يبـدوأن (عـلاء) قـد فقـد عقلـه إلى الأبـد..

ما الذي تفعله لووجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟!

مـوت (منـير) سـيعني أن هنـاك تحقيقـات وشرطـة واتهامـات وسـيتم ذكـر موضـوع سرقـة جثـة الطفـل مـن المستشـفى والغـرض مـن هـذه التجربـة وكل مـا يكفـي لتتدمـر حياتـك إلى

الأبـد..

ما الذي ستفعله لووجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟!

ببطء قدري أغمغم:

- «هذا المكان يحتاج إلى تطهير..»

وأبدأ في تطهيره..

***

الآن أقـود سـيارتي مبتعـداً عـن المـكان، وقـد ارتفعـت ألسـنة اللهـب مـن الفيـلا لتمحوهـا مـن الوجـود..

لابـد أن أحدهـم اسـتيقظ وأنـه أبلـغ الشرطـة والمطـافيء، لكـن حـين يصـل هـؤلاء سـيكون الأمـر قـد انتهـى، فلقـد حرصـت على إلقـاء البنزيـن في كل ركـن في هـذه الفيـلا الملعونـة..

السـيد (عـلاء).. حسـن.. لقـد حاولـت إخراجـه، لكنـه كان قـد فقـد عقلـه تمامًـا، ولـم أكـن لأخاطـر بخسـارة كل شيء أملكـه مـن أجـل مجنـون مصـاب بتلبـف الكبـد..!

لسـت أعـرف أيـن السـيد (فهمـي) ولا السـيد (رضـا) الآن، لكـني واثـق مـن أنهمـا لـن يتحدثـا في هـذا الموضـوع مـع أحـد.. سـتُمحى هـذه الليلـة مـن تاريخنـا ببسـاطة وإلى الأبـد..

الآن أقـود سـيارتي وأنـا لـم أخـسر إلا فرصـتي في معرفـة مـكان ثـروة زوجـتي الراحلـة، لكنـني سـأواصل البحـث.. حتمًـا سـأجد الـ..

((زوجتك حولت ثروتها إلى ماس وأخفته في صندوق دفنته في القبو))

ارتفع الصوت من المقعد الخلفي فانتفضت بذعر، لأنظر إلى الشيء الذي جعلني أصاب بالهلع لأصرخ بذعر هائل، ولأفقد التحكم في السيارة..

إلى الطفل الذي جلس في ظلام المقعد الخلفي، وإن مرّ ضوء مصابيح الإنارة في الشارع على وجهه لحظة، لأرى أنه يبتسم ابتسامة شيطانية مخيفة..

لحظة واحدة رأيت فيها وجهه الملطخ بالدماء الجافة، وتلك الإبتسامة التي صاحبت جميع كوابيسي بعد هذه الليلة.. ثم سمعت بوق تلك السيارة ورأيت مصباحين عملاقين يتجهان تجاهي بسرعة خرافية.. ثم.. ثم..

ثم انتهى كل شيء بغتة..

***

فيما بعد عرفت أن السيد (فهمي) قتل زوجته في ذات الليلة وسلّم نفسه للشرطة..

وعرفت أيضًا أن السيد (رضا) غادر البلاد بلا رجعة، بينما أغلقت قضية فيلا السيد (منير) المحترقة بعد أن عثروا على جثته وجثة السيد (علاء)، دون أن يجدوا دليلاً واحدًا يصلح لإتهام أحد به..

أما أنا.. فلقد نجوت من الحادث حقًا، لكنني الآن مصاب بالشلل الكلي، ولن يمكنك أن تتخيل كيف أن قدرتي على تحريك سبابتي اليسرى- آخر ما يمكنني تحريكه بإرادتي في جسدي – هي الشيء الوحيد الذي جعلك تقرأ هذه القصة...

ثروة زوجتي في صندوق مدفون في قبومنزلي بالمناسبة لوأردت المغامرة والحصول عليه، لكن يجب أن أحذرك أيضًا أنهم لم يعثروا على جثة الطفل في حادث السيارة..

في الواقع لم يعثروا عليها حتى الآن!!

لا أعرف – وربما لن أعرف – أين هوالآن.. لكني أتخيله دومًا يجوب ظلال الطرقات بوجه الملطخ بالدماء الجافة وابتسامته الشيطانية المخيفة..

وحده يعرف حقيقة ما حدث..

وحده يعرف ما هوالثمن الذي يدفعه البؤساء الذين تألق في وجوههم اللون..

الأحمر..

***

برتقالي

«كنـت أعـرف أن تعلّـق ابنـتي بهـذه الدميـة غـير طبيعـي... كنـت أعـرف هـذا لكـني تجاهلتـه.. لهـذا أنـا أسـتحق»

***

مـن الصعـب دائمًـا تحديـد النقطـة الـتي تبـدأ مـن عندهـا الأحـداث.. حـين تقـول (بـدأ كل شيء منـذ..) فأنـت لا تحـدد البدايـة بدقـة، إنمـا تحـدد الوقـت الـذي انتبهـت أنـت فيـه لمـا يحـدث طيلـة الوقـت مـن حولـك، وحـتى هـذا يخضـع لقـوة ذاكرتـك، ولا يوجـد مثـال أفضـل ممـا قالـه الكاتـب العظيـم ماركـيز، حـين وصـف كتـب التاريـخ قائـلاً: (التاريـخ ليـس مـا حـدث حقًـا.. بـل مـا نتذكـره وكيـف نحكيـه)..

مـن الصعـب إذن أن أحـدد لكـم مـتى بـدأت ابنـتي في التغـير، لكنـني سـاقول أن كل شيء بـدأ حـين قـرر زوجـي السـفر فجـأة إلى الخليـج بحثًـا عـن المـال الـذي لـم يجـده هنـا..

أي زوجـة تعـرف تلـك اللحظـة الـتي يتحـول فيهـا الـزوج مـن الحبيـب ذي الصـدر الـدافيء، إلى مصـدر تمويـل المـنزل، بـل وتطالبـه بهـا إن لـم يفعلهـا هـو بمفـرده... أنـا أحبـك نعـم.. لكـن هنـاك فواتـير المـاء والطعـام والكهربـاء والتليفون ومدرسـة

الطفـل والملابـس والمناسـبات، ولـن يغنيـني دفء صـدرك عـن هـذا كلـه..

لهـذا سـافر زوجـي.. لأنـه أدرك أن دوره في المـنزل تقلـص إلى ماكينـة صرف نقـود، عليهـا ألا تضـن علينـا بـالأوراق الماليـة المحببـة الـتي تشـتري السـعادة الحقـة!

مـن الصعـب دائمًـا تحديـد بدايـة الأحـداث، لكنـني سـأعود بذاكـرتي إلى اليـوم الـذي اصطحبـت فيـه طفلـتي (رنـا) إلى السـوق لتشـتري بعـض الألعـاب، وفي هـذا حـل أكيـد لبكاءهـا الدائـم عـلى اختفـاء أبيهـا مـن المـنزل.. هـذا هوأجمـل شيء في الأطفـال.. قدرتهـم عـلى النسـيان..

(رنـا) تبلـغ مـن العمـر تسـع سـنوات، وهوالعمـر الـذي تعرفـه أي أم وتمقتـه.. إنـه الوقـت الـذي يتعلـم فيـه الطفـل كيـف يكـون مزعجًـا ومؤذيًـا في الآن ذاتـه، وهوالعمـر الـذي تعتـاد فيـه الأم عـلى ضرب طفلهـا في محاولـة يائسـة لتهذيبـه، تسـتمر حـتى يكـبر هـذا الطفـل ويـترك المـنزل بـلا رجعـة، لكنـني في هـذا اليـوم كنـت أجـرّ معـي طفلـة بائسـة، لا تفهـم سر اختفـاء والدهـا مـن المـنزل رغـم تعلقـه الشـديد بهـا.. مـن المسـتحيل عـلى مـن في عمرهـا أن يفهـم أهميـة المـال، وهـذه نقطـة أخـرى في صالـح الأطفـال..

السـخيف في الأمـر أن حـزن ابنـتي كان صادقًـا وقويًـا إلى الدرجة الـذي جعـل كل اللعـب والهدايـا في نظرهـا، أشـياء حمقـاء

سـخيفة لا يمكـن أن تخفـف عليهـا، والأسـوأ مـن هـذا أنـني – ومـع بؤسـها المسـتمر – بـدأت أدرك حقيقـة أنـني أصبحـت امـرأة وحيـدة.. امـرأة بـلا رجـل ومسـؤولة عـن طفـل!

صحيح أنـني مـن شـجّع فكـرة السـفر، لكـن هـذا لا يمنـع مـن أنـني أفتقـد وجـوده.. أفتقـد صوتـه الرجـولي وهالـة الأمـان الـتي يحيـط بهـا المـنزل.. كل هـذا لـم يعـد موجـودًا لأننـا نحتـاج للمـال اللعـين!!

وهكـذا بـدأ الأمـر يتحـول مـن أم تحـاول الترفيـه عـن طفلتهـا إلى ثنـائي بائـس يجـوب طرقـات المدينـة بـلا هـدف، حـتى أنـني قـررت العـودة إلى المـنزل حيـث يمكنـني ممارسـة حقـي في البـكاء بـلا حـرج، حـين توقفـت ابنـتي فجـأة أمـام متجـر للألعـاب، وقـد تعلقـت عيناهـا عـلى دميـة محـددة..

دميـة دب مكتـنز، في حجمهـا تقريبًـا، ويحمـل وجهـه ابتسـامة واسـعة مرحبـة، بينمـا تحـدق عيناهـا البرتقاليتـان بـإصرار في وجـه الجميـع.. دميـة عاديـة لا تحمـل أي ابتـكار، لكنهـا جذبـت اهتمـام (رنـا) فانحنيـت عليهـا لأقـول بحنـان:

- هل تريدينها؟!

هـزّت رأسـها الضئيـل أن (نعـم) فلـم تمـض عـشر دقائـق حـتى كانـت تحملهـا بـين ذراعيهـا لنتجـه إلى المـنزل، وقـد علـت وجههـا الملائـكي – أخـيرًا - ابتسـامة رضـا وحبـور..

ألم أقل لكم أنها طفلة، وأنها ستنسى؟!.. لكن..

من يأتي لي بدب بني مكتنز يساعدني على النسيان؟!!

***

لم ألحظ ما يحدث في بدايته لأنني كنت مشغولة..

إنني الآن ألعب دور الأم والأب، وفي هذا مشقة أي مشقة.. لم أعرف حقًّا كم العبء الذي كان يزيحه زوجي عن صدري إلا في هذه الفترة، ورغم كوني ربة منزل لا تعمل إلا أنني كنت أعاني الأمرين كل يوم من اللحظة التي تترك فيها (رنا) فراشها وحتى تعود إليه..

في نهاية اليوم أجلس وحدي على الفراش أسجل وبدقة مصاريف اليوم وما تبقى من نقود وما يجب عليّ إدخاره -زوجي لن يسافر إلى الأبد- وما يمكن اقتطاعه لحسابي الشخصي، وبعد أن أنتهي من هذا، أظل بقية الليل أرمق الفراغ الكائن جواري على الفراش، والذي كان يحتله جسد زوجي منذ أسابيع قليلة..

مهما حاولت المرأة ستظل أهمية وجود الرجل في حياتها حقيقة لا فرار منها!

كان كل شيء يسير على ما يرام، لكنني لم أعرف أن ابنتي لم تكن تنام هي الأخرى على فراشها..

ما عرفته بعد ذلك أنها كانت تقضي ليلتها كلها تتحدث..

تتحدث بصوت خافت مرتجف إلى دميتها.. الدب المكتنز ذون العينان البرتقاليتان..

متى عرفت هذه الحقيقة الجديدة؟!

حسنًا إنني أتذكر هذا اليوم جيدًا...

***

كان يوم اثنين، وكنت قد استيقظت منذ السادسة صباحًا كعادتي لأعد طعام الإفطار لـ (رنا) قبل أن أوقظها لتذهب إلى المدرسة، لكنني حين ذهبت إليها في غرفتها وجدتها جالسة على فراشها وقد بدا جليًا من عينيها المحتقنتين والإرهاق البادي على وجهها الملائكي، أنها لم تنم إطلاقًا..

سألتها بقلق:

- رنا.. هل أنت مريضة؟!

هزّت رأسها أن (لا)، فسألت:

- ألم تنامي جيدًا ليلة أمس؟!

هزّت رأسها أن (لا) مرة أخرى، فسألت:

- لماذا ؟!

هنا ظلت (رنا) صامتة قليلاً كأنما تستجمع طاقتها لتجيب، ثم مدت يدها ببطء لتشير إلى دبها المكتنز دون أن تنطق

بحـرف، ففهمـت أنـا الموقـف – كنـت حمقـاء ولـم أفهـم شيء لكـني لـم اعـرف هـذا في حينـه – وهتفـت فيهـا:

- أخذت تلعبين طيلة الليل ولم تنامي.. أليس كذلك؟!

لـم تجبـني (رنـا) هـذه المـرة، وبـدأ وكأنمـا قـد اسـتنفذت طاقتهـا كلهـا، فقـررت أن أتركهـا هـذا اليـوم دون أن تذهـب إلى المدرسـة، وقلـت بغيـظ:

- إذن ارتاحي اليوم.. لا مدرسة..

لكنني قبل أن أخرج أخذت الدب المكتنز معي وأنا أردف:

- ولا لعب كذلك.. هيا.. نامي..

وهكـذا أغلقـت عليهـا البـاب وعـدت إلى غرفـتي لأظفـر بالنـوم، وقـد بـدا أنـني قـد أحظـى بسـاعات نـوم إضافيـة هـذا اليـوم، دون أن يـؤدي هـذا إلى كارثـة..

ألقيـت بالـدب عـلى أحـد الأرائـك في ردهـة المـنزل، ثـم ذهبت إلى غرفـتي لأنـام، عـلى أن أسـتيقظ بعـد عـدة سـاعات لأعـد طعـام الغـداء ولأواصـل طقـوس اليـوم المعتـادة..

كان يومًـا عاديًـا لـم يسـتجد فيـه شيء.. (رنـا) اسـتيقظت عـصرًا وقـد بـدا عليهـا الإنتعـاش، وقضـت يومهـا في مذاكـرة دروسـها تحـت إشرافي وفي نهايـة اليـوم سـمحت لهـا بالجلـوس أمـام التلفـاز قليـلاً حـتى أتـت السـاعة التاسـعة مسـاءًا فحملتهـا حمـلاً إلى فراشـها، وأنـا أقـول:

- نامي جيدًا.. ستذهبين إلى المدرسة غدًا..

وبعـد أن أوت إلى فراشـها، عـدت أنـا إلى غرفـتي لأواصـل تسـجيل مصاريـف اليـوم الجديـد، وهـي عـادة غـير مفيـدة إطلاقًـا في حالـة الإدخـار، لكنهـا تقتـل الوقـت قتـلاً وهـذا مـا أحتـاج إليـه حقًـا..

أتذكـر يومهـا أنـني - وحـين تسـلل النعـاس إلى جفـوني - قـررت أن أمـرّ عـلى غرفـة (رنـا) أولاً، لأتأكـد مـن أنهـا (تـأكل أرزًا مـع الملائكـة كمـا يقولـون) لكـني لـم أكـد أصـل إلى بـاب غرفتهـا حـتى سـمعتها تتحـدث..

تتحـدث بصـوت خافـت مرتجـف، لـم أمـيز معـه مـا تقولـه بالضبـط، لـذا دخلـت عـلى الفـور لأرى مـا الـذي يحـدث بالضبـط، فوجدتهـا تجلـس عـلى الفـراش ، وقـد وضعـت دبهـا المكتـنز -الـذي التمعـت عينـاه البرتقاليتـان عـلى ضـوء القمـر- أمامهـا تتحـدث إليـه بخـوف شـديد اسـتحال إلى فـزع حـين رأتـني..

كنـت حمقـاء أيهـا السـادة، لـذا فلـم أفعـل سـوى أنـني صرخـت فيهـا وجذبـت الـدب مـن أمامهـا وأنـا أهتـف بصرامـة:

- نامي فورًا..

وعـلى عكـس مـا تخيلتـه، لـم تقـاوم، بـل وبـدا الأمـر وكأنهـا كانـت تنتظـر مـن يأخـذ الـدب مـن أمامهـا، فحملتـه معـي خارجة مـن الغرفـة لألقيـه في الصالـة مجـددًا..

لـم أكـن أعـرف.. لـم أكـن أفهـم.. ولهـذا اسـتمر الأمـر أكـثر

مـن هـذا..

***

هكـذا اعتـدت أن أحمـل الـدب مـن أمامهـا كل ليلـة، لأتأكـد مـن أنهـا سـتنام..

اعتـدت أن ألقـي الـدب عـلى أحـد الأرائـك في الصالـة، ثـم أنـام ويمـر اليـوم، وفي المسـاء أحمـل الـدب مجـددًا مـن أمـام (رنـا) في غرفتهـا.. مـا دامـت ابنـتي تخشـاه إلى هـذا الحـد، فلمـاذا كانـت تحملـه إلى غرفتهـا كل ليلـة إذن؟!.. سـؤال بديهـي لكنـني لـم أفكـر فيـه قـط، حـتى جـاء اليـوم الـذي دفعـني للبـدء في التفكـير في هـذا الموضـوع..

كنـت أمـرّ بطقـوس اليـوم المعتـادة، وكنـت قـد بلغـت ذروة إرهـاقي مـع حلـول الليـل، حـتى أنـني قـررت أنـه لا داعـي لتسـجيل مصاريـف اليـوم، لكـني قـررت أن أمـرّ عـلى غرفـة (رنـا) للإطمئنـان عليهـا قبـل النـوم، وحـين دخلـت عليهـا كانـت هنـاك مفاجـأة عجيبـة بانتظـاري.. في تلـك الليلـة بـدأت القلـق.. في تلـك الليلـة بـدأت الخـوف..

كانـت (رنـا) قـد فصلـت رأس دميتهـا عـن جسـدها الـذي ألقتـه في ركـن الغرفـة، بينمـا وضعـت الـرأس المقيـت في حجرهـا، تنظـر إلى العينـين البرتقاليتـان بوجـل، وتهمـس محدثـة رأس الـدب

بخـوف..

أي طفلة التي تلعب بهذه الصورة؟!!

لـم أشـعر بنفـسي إلا وأنـا أنـتزع الـرأس مـن يدهـا، لأصرخ فيهـا بعنـف لـم أعتـده في نفـسي، بينمـا ظلـت هـي صامتـة عـلى الفـراش، تسـيل دموعهـا قطـرات عـلى وجنتيهـا، وسـهام مـن نـار في قلـبي.. لمـاذا يـا (رنـا)؟! لمـاذا؟!!

بالطبـع أصابتـني دموعهـا بالهسـتريا، وبعـد كثـير مـن الصخب كنـت أحتويهـا في صـدري ونبـكي سـويًا..

- لماذا قطعت الرأس يا (رنا)؟!

- هوأخبرني.. قال أن الجسد غير مهم..

- من هو؟!!

- الذي يعيش في العينين البرتقالتين..

***

الأطفـال يصابـون بالإضطرابـات حـين يفقـدون أحـد والديهم.. قـرأت هذا مـن قبـل وأذكـره الآن..

(رنـا) تفتقـد والدهـا بشـدة، وهـذا هـوكل شيء.. لا داع للإصابة بالجنـون.. لا داع للإنتحار!

(رنـا) مضطربـة نفسـيًا.. لكـن.. مـا الـذي عـليّ أن أفعلـه أكـثر

مـن هـذا؟!!

بالطبـع لـم أكـن قـد وصلـت بعـد إلى المرحلـة الـتي تمكنـني مـن ربـط كل مـا يحـدث بالدميـة.. أنـت تنظـر الآن إلى الموضـوع مـن أعـلى ممـا يمكنـك مـن رؤيـة الصـورة كاملـة، أمّـا أنـا فكنـت تفصيلـة صغـيرة في الصـورة الكاملـة، لا يمكنهـا سـوى أن تنظـر إلى التفاصيـل الصغـيرة مـن حولهـا..

ذهبـت إلى طبيبـة نفسـية بحثًـا عـن المشـورة.. وإلى دجالـة معروفـة بحثًـا عـن الأمـل.. ولـم أتـرك بابًـا إلا وتوسـلت أمامـه علّـني أفهـم مـا الـذي أصـاب ابنـتي بالضبـط..

إنهـا لا تتحـدث إطلاقًـا.. لا تنـام أبـدًا.. لا تفعـل شـيئًا سـوى التحديـق المسـتمر في عيـني رأس الـدب البرتقاليـتن كأنمـا تجـد في هـذا الـشيء راحتهـا الوحيـدة.. حاولـت التخلـص مـن رأس الدميـة، لكـن دموعهـا الصامتـة كانـت تجعلـني أتراجـع كل مـرة..

إنهـا طفلـة بائسـة تتعـذب، فلمـاذا أحرمهـا مـن الـشيء الوحيد الـذي تريده؟!

بالطبـع لـم آخـذ كلامهـا بخصـوص الـشيء الـذي يعيـش في العينـين البرتقاليتـين بجديـة، بـل اكتفيـت بالإعتقـاد أن ابنـتي أصيبـت بالخبـال لشـدة الحـزن، وأنـه عـليّ أن أسـاعدها بـأي وسـيلة..

كنـت أعـرف أن تعلّـق ابنـتي بهـذه الدميـة غـير طبيعـي... كنـت أعـرف هـذا لكـني تجاهلتـه.. لهـذا أنـا أسـتحق مـا حـدث بعـد

ذلك..

أستحقه تمامًا...

***

في أحـد الأيـام وأثنـاء تجـولي في السـوق لأشـتري ضروريـات المـنزل، شـعرت بذلـك الهاجـس الخفـي الـذي تشـعر بـه أي أم، والـذي يخبرهـا أن طفلهـا في خطـر.. هـذا هوالهاجـس الـذي يوقظنـا في منتصـف الليـل لنجـد طفلنـا الرضيـع يـكاد يسـقط مـن عـلى فراشـه.. لا معجـزات في الأمـر.. لكنـه شـعور داخـلي عميـق..

كنـت قـد تركـت (رنـا) في المـنزل – فهـي لـم تعـد تذهـب إلى مدرسـتها منـذ زمـن – لـذا أخـذت في طريـق عـودتي إلى المـنزل، أبـني تصـورات سـوداوية عمّـا يمكـن أن يكـون قـد حـدث..

لقـد أشـعلت النـار في الشـقة وهـي الآن تختنـق حـتى المـوت... لقـد دسّـت إصبعهـا في قابـس الكهربـاء... لقـد ألقـت بنفسـها مـن الشرفـة.. شيء مـا حـدث!

لكـني حـين وصلـت إلى المـنزل، وجـدت مـا هوأسـوأ مـن هـذا كلـه... كانـت ابنـتي (رنـا) تجلـس عـلى أرض الصالـة، ورأس الـدب ذوالعينيـن البرتقاليتـين أمامهـا يحـدق فيهـا بثبـات، وهـي كانـت تبـكي بهسـتيريا مخيفـة كأنهـا رأت مذبحـة مخيفـة منـذ لحظـات..

ألقيـت بـكل مـا في يـدي، لأرفعهـا مـن عـلى الأرض ولأدفنهـا في

حضـني وأنـا أردد بجـزع:

- (رنا) حبيبتي.. ما الذي حدث؟!

- باباااااااااااااااا

- أعـرف يـا حبيبـتي.. أعـرف.. إنـك تفتقدينـه، لكـن... لا بـأس سـأتصل بـه وأطلـب منـه أن يعـود و..

- بابا.. ماااااااااااااااااااات..

- !!!!!!!!!!!!

- أريد باباااااااا

أصابتـني كلماتهـا بالجنـون، فلـم أشـعر بنفـسي إلا وأنا أرجهـا بعنـف، صارخـة:

- من قال هذا؟!!

ببطء أشارت بيدها إلى رأس الدب ذي العينين البرتقاليتين..

في هـذه اللحظـة شـعرت.. في هـذه اللحظـة فهمـت... في هـذه اللحظـة أدركـت الحقيقـة كاملـة بـلا رتـوش..

وهنا ارتكبت أكبر خطأ في حياتي كلها..!

تركـت طفلـتي وأسرعـت أعـدوإلى السـنترال المجـاور للمـنزل، لأحـاول الإتصـال بزوجـي.. يجـب أن أسـمع صوتـه الآن، ويجـب أن يعـود إلى المـنزل اليـوم..!!

وصلت إلى السنترال وطلبت الرقم بأصابع مرتجفة..

ومـع مـرة كان يجيبـني فيهـا الرنـين المسـتمر كنـت أفقـد

اعصـابي أكـثر وأكـثر.. أيـن أنـت أيهـا الوغـد؟!!

وارتفـع ذلـك الصـوت المقيـت في أعمـاقي يـردد: لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات.. لقـد مـات..

وبعـد محـاولات اسـتمرت لسـاعة كاملـة كاملـة، أصبـح عنـدي يقـين أنـني تحولـت إلى أرملـة.. أرملـة مسـؤولة عـن طفلـة مخبولـة..

(رنا).. لقد تركتها بمفردها.. يا إلهي...!!

وهكـذا عـدت أسرع الخطـى إلى المـنزل وأعصـابي تحـترق في رأسي، وحـين وصلـت إلى المـنزل كنـت أتمـنى شـيئًا واحـدًا..

أن أعثر على ابنتي حية!!

والواقـع أنـني عـثرت عليهـا حيـة.. الواقـع أنـني أذكـر هـذا المشـهد بالـذات جيـدًا فأنـا أراه في كل لحظـة مـن حيـاتي وحـتى الآن.. الواقـع أن أحـدًا لـن يصـدق مـا رأيتـه أنـا في تلـك اللحظـة...

كانـت ابنـتي تقـف في صالـة المـنزل وعـلى وجههـا تعبـير جـاف مخيـف، بينمـا صوتهـا الخافـت ينـادي:

- أمي.. أمي..

لـم تكـن شـفاها تتحـرك، لكـني كنـت أسـمع صوتهـا واضحًـا، وحـين انتبهـت إلى مصـدر الصـوت الحقيقـي، تجمـدت الدمـاء في عـروقي..

ومأخـوذة تجـاوزت ابنـتي الـتي تحولـت إلى تمثـال صامـت لـم ينطـق إلى يومنـا هـذا، وحملـت رأس دميـة الـدب ذي العينـين البرتقاليتـين..

الرأس الذي ارتفع منه صوت ابنتي الخافت يقول:

- أمي.. أنا هنا..!!

***

أصفـر

سـوف أخـبرك بالقصـة كلهـا لكـن مـن فضلـك لا ترفـع صوتك.. إن أعصـابي مرهقـة بمـا يكفـي ولا أتحمـل أي نـوع مـن الحمـاس يتطـوع بـه الآخـرون..

في مراجـع الطـب يطلقـون عليهـا اسـم (زانثوبسـيا).... قليلـة هـي حـالات (الزانثوبسـيا).. قليـل هـم الأطبـاء الذيـن سـمعوا عـن (الزانثوبسـيا)...

تقـول مراجـع الطـب إن مـرضى الصفـراء - حـالات محـدودة جـداً مـن مـرضى الصفـراء - يـرون العالـم أصفـر.. هنـاك عقاقير معينـة تسـبب الحالـة ذاتهـا..

مـن المخيـف أن تـرى العالـم وقـد صـار مصاباً بفقـر الـدم.. لورأيـت هـذا عـلى شاشـة جهـاز التلفزيـون لأصابـك الهلـع وجريـت إلى أقـرب خبـير إلكترونيـات ليعالـج هـذا الخلـل، أمـا أن تـراه بعينيـك وأنـت تعـرف أن هـذا هومـا تـراه فعـلاً فـإن هلعـك لا يوصـف بكلمـات..

أمـا الأكـثر إثـارة للتوجـس فهـوأن هـذه ليسـت حالـة (زانثوبسـيا).. لا يوجـد سـبب يفـسر مـا تـراه الآن.. فهـل هوالجنـون؟

***

اسـمي (محمـد صـبري).. لابـد أنـك خمنـت ذلـك.. لمـاذا؟.. لأنـه لا يوجـد واحـد آخـر في العالـم يـراه أصفـر سـوى (محمـد صـبري)..

بـدأ كل شيء كمـا تعلـم عندمـا صحـوت مـن النـوم ذلـك الصبـاح لأجـد أن كل شيء في الكـون أصفـر.. فركـت عيـني مـراراً واتجهـت إلى الحمـام وغسـلت وجهـي وعيـني. غسـلتهما حـتى احترقتـا تقريبـاً ثـم نظـرت للكـون مـن حـولي: أصفـر...

ماذا دهاني؟... ماذا حدث؟

فتحـت النافـذة ونظـرت إلى السـماء.. مـا زالـت فيهـا زرقـة اختلطـت باللـون الأصفـر فصـار المزيـج أقـرب للخـضرة.. مـن قـال إن الأخـضر جميل.؟.أنـا لـم أر في حيـاتي أقبـح مـن هـذه السـماء الخـضراء..

عدت للداخل وحاولت أن أتماسك.. ثمة شيء ما خطأ..

كانـت أمـي قـد صحـت مـن النـوم.. متثائبـة خرجـت مـن غرفـة النـوم وهـي تحـك شـعرها.ويبدوأن وجهـي أثـار قلقهـا لأنهـا سـألتني:

ـ «ماذا بك؟»

قلت وأنا أوسع عيني عن آخرهما:

ـ «أصفر.. كل شيء أصفر!»

ـ «بسم الله الرحمن الرحيم!»

سألتها وأنا أرتجف في جنون:

ـ «هل ترين العالم أصفر من حولك؟»

قالت وقد زالت عنها أمارات النوم في لحظة:

ـ «لا.. كل شيء على ما يرام.. لابد أنك مرهق.. إن عادة السهر مع أصدقائك هذه..»

قلت في عصبية وأنا أبتعد عنها:

ـ «لوكنا نقضي أمسياتنا في احتساء الخمور وتدخين الحشيش وقتل الأطفال فهذا غير كاف لتبرير ما أراه الآن..»

عندما انتصف اليوم صرت واثقاً من أن ما أراه لا يراه أحد سواي..

ومر الوقت كالكابوس حتى دنا عقرب الساعة من الثانية.. في هذا الوقت يتثاءب الكهنة ويتجهون - حاملين أسرارهم - إلى عياداتهم الخاصة ليبيعوها مقابل المال.. الكثير منه... وأنا بحاجة إلى كاهن... سأمنحه ما يطلب مقابل أن يمنحني قبساً من علمه..

الكاهن الذي قصدته هود. (سمير عبد العليم)... دكتوراه في طب العيون وزميل عدد من الكليات الغربية.. أجلس في عيادته أرقب العالم الأصفر.. ماذا لوكتب علي أن أراه بهذا الشكل ما بقي لي من عمر؟.. لا..لا.. لا.. مستحيل.. ما أراه علامة مرضية لا ريب فيها.. وهذه العلامة المرضية سوف تعلن للكاهن الأكبر عن مرض أكبر وأخطر.. ربما يفتك بي.. لكن ما المشكلة؟.. من يريد أن يرى العالم اصفر ما تبقى

لـه مـن عمـر؟

لهـذا حـين جلسـت أمامـه في المحـراب، كان آخـر شيء أرجـوه هـوأن يقـول لي:

ـ «أنت سليم تماماً..!»

ما تخشاه قد حدث.. إنها لعنة وأنت أول ضحاياها..

قلت له في عصبية:

ـ «لكني أرى العالم أصفر!»

قال في حنكة:

ـ «عينـاك سـليمتان تمامـاً.. رؤيـة العالـم أصفـر تحـدث في حـالات محـدودة جـداً وبالتأكيـد أنـت لسـت حالـة منهـا..»

ـ»والعمل؟»

أشار إلى عينه وقال:

ـ «لا مشكلة هنا..»

وأشار إلى رأسه بحركة ذات معنى وقال:

- «المشكلة هنا..»

ـ «تعني أنني مجنون؟»

ـ «الجنـون كلمـة ابتذلناهـا مـن فـرط الاسـتعمال.. هنـاك كلمـة أخـرى اسـمها العصـاب.. هنـاك أمراض في المخ تسـبب اسـتقبال الحـواس بشـكل خطـأ.. لا أعـرف.. فقـط أملـك أن أتحـدث عـن مملكـتي.. ومملكـتي لا يوجـد فيهـا مـبرر لرؤيـة الأصفـر..»

هكـذا فارقتـه أجـر أذيـال الخيبـة.. وبحـركات كالمنـوم مغناطيسـياً اتجهـت إلى شـقة أخـرى في البنايـة الـتي تعـج بالكهنـة.. هـذا كاهـن مـخ.. لابـد أنـه يملـك الجـواب..

لـم يـأت رد كاهـن المـخ سريعـاً بـل أرسـلني إلى كهنـة آخريـن قامـوا بفحـص رأسي بالأشـعة.. وكهنـة قامـوا بتوصيـل أقطـاب بمخـي وقـرءوا النتائـج عـلى الـورق..

وفي النهاية قال لي الكاهن الأكبر ما كنت أخشاه:

ـ «أنت سليم تماماً!»

ـ «لكن ما أراه ليس سليماً..!»

قال باسماً:

ـ «إنـه إرهـاق لا شـك فيـه.. سـتتناول بعـض المقويـات وأعتقد أنـك ستشـفى خلال أيـام..»

أي انـه قـال بعـد كل هـذا الجهـد مـا قالتـه أمـي الـتي لا تقـرأ ولا تكتـب بعـد ثانيـة واحـدة.. مـاذا يتعلمـون في تلـك الكليـات إذن؟

أصفر..

العالـم كلـه أصفـر.. السـماء والسـيارات وشـفاه الفتيـات والأزهـار وحقائـب الطلبـة والـكلاب الضالـة وعربـات الإطفـاء وإشـارات المـرور..

أصفـر.. أوراقي وثيـابي الداخليـة وشاشـة التلفزيـون ووجـوه أصحـابي..

أنـا الوحيـد الـذي يعـاني مشـكلة كهـذه وأنـا الوحيـد القـادر عـلى حلهـا..

سوف أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

***

ليلـة الخميـس عنـد صديقـي (شريـف).. عندمـا اسـتبد بنـا الملـل ليـلاً وقلـت لـه إنـني أعـرف لعبـة مسـلية حقـاً...

هـات رقعـة مـن الـورق المقـوى واكتـب عليهـا الحـروف الأبجديـة كلهـا.. هـات كوبـاً مقلوبـاً... اجلسـوا يـا شـباب حـول هـذه المنضـدة وليضـع كل منـا إصبعـاً عـلى قاعـدة الكـوب ولنظلـم المـكان.. سـنجرب تحضـير روح..

(شريـف) كان قلقـاً لأن هـذه التجـارب تتـم في داره لكننـا سـخرنا منـه..

وهكـذا جلسـنا.. وهكـذا مـضى الوقـت ونحـن ننتظـر أن يحـدث شيء.. أحيانـاً كان أحدنـا يطلـق مـواءً مفاجئـاً فنثـب في الهـواء مترين.. عندهـا كان يضحـك بينمـا ننظـر لـه في قسـوة...

ـ «لا يستحب المزاح في أمور كهذه..»

ننتظـر.. أتبـادل النظـر مـع (عصـام) و(جمـال).. أتمـنى ان أزحـزح الكـوب بنفـسي لأداعبهمـا.. لكـن لا.. دعابـة قاسـية هـي..

ويمر الوقت.. وهنا يرتفع صوت (شريف):

ـ «كفى.. واضح أن هذه خزعبـــ...»

هنـا بـدأ الكـوب يتحـرك.. لا خـداع في الأمـر.. لا أحـد منـا يحركـه بنفسـه.. أنـا متأكـد مـن هـذا...

يتجـه الكـوب إلى حـرف (الـكاف).. ثـم حـرف (الفـاء).. ثـم (اليـاء)..

ك – ف – ى

ك – ف – ى

يهتف (شريف) في حماس ممزوج بالهلع:

ـ «كفى.. يقول لكم كفى!»

الكوب يواصل الحركة:

أ – ن – ت – م – ت – ل – ع – ب – و– ن – ب – ا – ل – ن– ا – ر

س- ت – ح – ل – ب - ك – م – ل – ع – ن – ة – ا – ل – ش– ي – ا – ط – ي – ن

هنا فقط لم تتحمل أعصاب (شريف) أكثر...

صرخ وأضاء النور ثم هتف بنا:

ـ «انتهى!.. لا أريـد هـذه الأمـور في بيـتي.. بالـذات لا أريدهـا في غرفـة نومـي!»

ثم حمل الكوب وأطاح به من النافذة..

قال (جمال) بصوت مبحوح من فرط التوتر:

ـ «ما رأيكم؟»

قلت بصوت مبحوح أكثر:

ـ «كان هناك شيء يقيناً.. وقد لبى نداءنا!»

قال (عصام) وقد بدت عليه الجدية:

ـ «المشكلة هي.. هل انصرف؟»

نظرت له ونظرت للرقعة ولم استطع الرد..

كان هناك شيء.. وقد أنذرنا بأن لعنة الشياطين ستحل بنا.. لكننا لم نعرف بعد هل أنصرف أم لا.. الآن حينما أفكر في الأمر يبدولي هذا سيناريولعنة..

هل هي لعنة الشياطين حلت بعيني؟... وماذا عن باقي المتورطين ملوثي الأيدي؟...

***

أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

في مكتب الدكتور (داود) أستاذ الكيمياء في كليتي..

لقد استدعاني - ليوبخني طبعاً - في ذلك الثلاثاء الحار.. دخلت المكتب فلم أجده لكني قدرت أنه عائد حالاً.. هناك كوب ماء على مكتبه وقدح قهوة ساخن..

هكذا سمحت لنفسي بالجلوس...

رحت أتأمل صور أسرته على الجدار.. من الغريب أن لهذا

الرجـل أسرة مثلنـا.. يلبـس المنامـة ويجلـس أمـام التلفزيـون ويعبـث في أصابـع قدميـه.. لـم يولـد مـن بطـن أمـه بالمعطـف الأبيـض حامـلاً تحـت إبطـه مظـروف أوراق الامتحانـات..

الطقـس حـار فعـلاً.. هكـذا مـددت يـدي إلى كـوب المـاء وجرعـت جرعـة لا بـأس بهـا.. منـذ طفولـتي أعـاني تلك المشـكلة.. أنـا أشرب أولاً ثـم أتـذوق بعـد هـذا..

وهكـذا أدركـت أن هـذا الـذي شربتـه ليـس مـاء.. إنـه سـائل كريـه لـه مـذاق الزئبـق لـوكان للزئبـق مـذاق.. بصقـت في منديـلي ثـم نسـيت الأمـر لأن الرجـل دخـل المكتـب لحظتهـا فهببـت واقفـاً..

قال لي وهويخرج أشياء من جيبه:

ـ «آه.. هأنتـذا أتيـت يـا أبـا جهـل.. إن درجاتـك في امتحـان أعمـال السـنة...»

ثم تصلب ونظر إلى الكوب الفارغ وهتف:

ـ «من فعل هذا؟»

كنـت أعـرف أنـني سـأُلام عـلى شيء مـا فهـززت رأسي في غبـاء بمـا معنـاه أنـني لا أعـرف.. قـال وهويعيـد تفحـص الكـوب:

ـ «غريـب هـذا.. كان خطـأ فادحـاً أن أضـع المحلـول في كـوب مـاء لكـني لـم أتوقـع أن يدخـل أحدهـم مكتـبي.. هـذا مـا تفعلـه الأمهـات الجاهـلات حينمـا يضعـن صـودا الغسـيل في أكـواب مـاء لتبدوكاللـبن، ويشربهـا الأطفـال.. كل حـالات احـتراق

المـريء في مـصر تعـود لهـذا السـبب الغـبي..»

وحك رأسه في ضيق وغمغم:

ـ «وأنا فعلت الشيء ذاته..»

سألته في حذر وأنا أتحسس بطني:

ـ «هل ما كان في الكوب صودا غسيل يا سيدي؟»

ـ «ليتـه كان كذلـك.. إنهـا تجربـة أقـوم بهـا حاليـاً ونتائجهـا هـي.....»

ثم بدا عليه نفاد الصبر وقال وهويجلس خلف مكتبه:

ـ «أنا متعكر المزاج الآن.. عد لي في وقت آخر..»

متعكر المزاج؟.. ومنذ متى لم يكن كذلك؟

الآن أتذكـر هـذا الحـادث وأسـأل نفـسي: هـل للسـائل الـذي كان في الكـوب علاقـة بمـا حـدث؟

***

أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

و(سـلوى) الفتـاة الـتي صـارت كل شيء في حيـاتي تسـند رأسـها إلى الشـجرة..

لـم أر حـتى هـذه اللحظـة إنسـاناً أوجمـاداً أومكانـاً أوحلمـاً أجمـل ولا أرق منها..لقـد ذهبـت بصـوابي تمامـاً..

أدنومنها وأهمس في أذنها كم أحبها..

تنظر في شرود إلى الأفق وتهمس:

ـ «لا أعـرف.. لوأنـك عرفـت حقيقـتي.. لوعرفـت مـن أنـا حقـاً... فلربمـا بدلـت هذا الـرأي.»

هـذا مشـهد مـن فيلـم عـربي.. هـل سـتصارحني بـأن أمهـا راقصـة أوأن أباهـا هو(خُـط) الصعيـد؟

تقول وهي تتنهد:

ـ «أنـا مـن عالـم آخـر.. أرى الأشـياء ليـس كمـا ترونهـا أنتـم.. أسـمع الأصـوات ليـس كمـا تسـمعونها أنتـم.. أنـا مختلفـة.. هـل تفهـم هـذا؟»

فعـلاً هـي مختلفـة.. منـذ جـاءت إلى الكليـة منـذ ثلاثـة اشـهر وكل واحـد منـا يـدرك أنهـا مختلفـة.. لقـد جـاءت مـن عالـم آخـر فعـلاً..

قلت لها:

ـ «أتمنى أن أكون معك في هذا العالم..»

تقول وهي تنظر لي في شفقة:

ـ «لـن تحـب هـذا يـا مسـكين.. ربمـا تصحويومـاً فتجـد السـماء خـضراء والعشـب أحمر..ربمـا تسـمع رائحـة الياسـمين وتشـم النجـوم»

ـ «مـا دمـت معـك فـلا أبـالي لوشـممت نهيـق الحمير وسـمعت

الطين»

ضحكت كثيراً ثم قالت لي في ثبات:

ـ «هل أنت متأكد؟..»

ـ «متأكد»

مدت لي إصبعها وهمست:

ـ «هلم.. اجرح إصبعي وسأجرح إصبعك.. سوف نتبادل الدماء.. وبهذا تصير من عالمي وأصير من عالمك..»

لم يبد لي الأمر صحياً... إن التهاب الكبد الوبائي ينتقل بطريقة مماثلة على ما أذكر... لكن الرومانسية جعلت كل شيء ممكناً وفعلت كما طلبت وامتزج دمينا...

قلت لنفسي وقتها إنها رومانسية.. كل الرومانسيات يقلن الكلام ذاته..

لكن – الآن يتصلب شعر رأسي – ماذا لولم تكن تمزح؟... ترى الأشياء لا كما نراها نحن.. السماء خضراء؟...

ترى أين كانت (سلوى) قبل أن تظهر في كليتنا؟.. لا أحد يعرف عنوانها أورقم هاتفها ولم يرها أحد تأكل أوتشرب من قبل...

وأنا خلطت دمي بدمها!

***

أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

صديقي (علاء) هوالذي أحضر اللفافة...

قال لي ضاحكاً:

ـ «لم يجرؤ أحد على فتحها قط..»

ضحكت بدوري في تهكم وتحسستها.. كان ملمسها مخيفاً فعلاً..

قلت له في قلق:

ـ «هذه تهمة خطيرة.. سرقة آثار لا يمكن إنكارها..»

قال وهويضع اللفافة في يدي:

ـ «من سرق ماذا؟.. قلت لك إنني وجدتها في الأقصر.. ولولم أدسها في جيبي لفعل أحدهم نفس الشيء..»

قلت له في شغف:

ـ «هل تعرف شيئاً عنها؟.. إلى أية أسرة تنتمي؟..»

مط شفته السفلى بمعنى انه لا يعرف ثم أضاف ساخراً:

ـ «تتظاهر بالعبقرية..ولوقلت لك إنها من الأسرة السادسة مثلاً لما فهمت شيئاً ولما استفدت من هذه المعلومة..»

ثم أردف وهوينظر حوله في حذر:

ـ «هذه الأشياء تكون ملعونة.. رأيي الخاص ألا نجازف بفتحها..»

قلت في ضيق:

ـ «وهل تريد أن نبقيها للأبد كحرز؟»

ـ «لا أعرف..»

ـ «الفضول قتل القط وأنا قط كبير..»

ومـددت يـدي أعالـج أربطـة الكتـان المحيطـة بها..كانـت هنـاك لوحـة عـلى صـدر الـشيء.. لوحـة دقيقـة أنيقـة تمثـل عـين (رع) وقـد خرجـت منهـا إشـعاعات صفـراء.. كأنهـا شـمس أخـرى..

ـ «جميلة. تحفة فنية..»

ـ «لكن ما معناها؟»

ـ «غالبـاً تعـد بـأن (رع) سـيخرب بيـت مـن يفتـح هـذه اللفافـة..»

وواصلـت الفتـح.. أخـيراً بـدا لنـا الجعـران العمـلاق بحجـم كـف يـدك..كان مثـيراً للاشـمئزاز لكنـه جعـل أنفاسـنا تخفـق في انبهـار..

قلت لـ (علاء):

ـ «كمـا تـرى.. لـم يحـدث لنـا شيء.. لا أعتقـد أن الفراعنـة كان عندهـم وقـت كاف لحمايـة مومياء جعـران..»

اليـوم أفكـر في الأمـر مليـاً.. لمـاذا عـين (رع)؟.. ولمـاذا اللـون الأصفـر؟

***

أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

هـل هـي لعنـة الشـياطين حلـت بشـباب عابـث يلعـب بالنـار؟ أم هـي وصفـة كيميائيـة شريـرة ذات آثـار جانبيـة مخيفـة؟.. أم أنـني فعـلاً عـبرت لعالـم (سـلوى) وصرت منـه.. عالـم الذيـن يـرون كل شيء بلـون مختلـف؟.. أم أن لعنـة كهنـة (رع) أصابتـني..؟.. أم أنـه لا تفسـير هنالـك؟

كل شيء من حولي أصفر..

الكتـب.. الأبـواب.. رجـال الشرطـة.. القطـط.. السـماء.. السيارات..شـفاه الفتيات..الأزهار..حقائـب الطلبـة.. وجهـي في المرآة.الـكلاب الضالة..عربـات الإطفـاء.. أوراق..ثيـابي الداخلية..شاشـة التلفزيون..وجـوه أصحابي..سـاعة الحائـط.. أوراق العملـة.. الحديقـة.. ثـوب أمـي.. شـعر أبي.. الهاتـف.. متاجـر وسـط البلـد.. الشـاي.. القهـوة.. السـجائر.. الجعـران.. معطـف الدكتـور (داود)..

أصفر..

وأنـا جالـس في غرفـتي وحيـداً أسـترجع خيـط الأحـداث وأفكـر.. مـا الـشيء الـذي جعلـني أرى العالـم أصفـر..؟!

أنا لا أعرف.. فهل عرفت أنت؟

***

أخضر

« الواقـع أنـني أكـره عمـلي هاهنـا.. الواقـع أنـني لا أجـد جـدوى لحيـاتي ذاتهـا.. الواقـع أن الـشيء الوحيـد الـذي يدفعـني للإسـتمرار هـو... الدكتـورة (منـال)..»

***

السبت ١٥ مايو..

الفائـدة الوحيـدة للملـل هـي أنـك تجـد الوقـت الـكافي لكتابـة مذكراتـك.. صحيـح أنـه لا يوجـد شيء ذوقيمـة في هـذه المذكـرات، لكنهـا مذكـراتي أنـا ولا تعـني أحـدًا سـواي.. لا أحتـاج لأن أكـون رائـد فضـاء لأحظـى بـشرف كتابـة مذكـراتي!

أنـا عامـل نظافـة بالمناسـبة وهـذا قـد يدفعـك لـترك القصـة والإنتقـال إلى القصـة التاليـة، لكـن مـن سـيتجاوزون امتعاضهـم مـن عمـلي هـذا، وسـيواصلون القـراءة، قـد يكتشـفون أن حـتى عمـال النظافـة قـد يوجـد لديهم مـا يقولونـه في بعـض الأحيان..

هـذا هوثـاني أيـام عمـلي في مؤسسـة (اسـم لاتيـني معقـد لا يمكنـني نطقـه أوحـتى كتابتـه!) الـتي تديـر سلسـلة مـن الأبحـاث العلميـة عـن أشـياء لا يعـرف إلا الله الغـرض منهـا بالضبـط.. أحدهـم يقـضي حياتـه أمـام فـأر أبيـض في قفـص، وآخـر يحقـن

الفواكـه بعقاقـير عجيبـة، وهنـاك مـن ينظـر طيلـة اليـوم إلى شريحـة ضئيلـة عـبر الميكرسـكوب، ليـدون ملاحظاتـه كل نصـف سـاعة..

وهناك الدكتورة (منال)..

حـين عـرض عـليّ قريـبي - وهوعامـل نظافـة هوالآخـر – العمـل هنـا، لـم أكـن متحمسًـا عـلى الإطـلاق، لكـني كنـت في حاجـة إلى المـال.. أي مـال بـأي طريقـة.. ولأنـني لا أجيـد السرقـة أوالنصب ومصـاب بمـرض نـادر في العضـلات يمنعـني مـن العمـل كبائـع متجـول، بـدا أن العمـل كعامـل نظافـة هوالحـل الأمثـل لي..

أنقـل القمامـة مـن سـلة المهمـلات إلى العربـة الـتي أجرهـا أمامـي طيلـة اليـوم، ثـم أفـرغ العربـة في أنبـوب خـاص في قبوالمبـنى.. هـذا هـوكل شيء، والأمـر لا يحتـاج لمواهـب خاصـة كمـا لاحظـت.. المشـكلة هـي أنـني متعلـم – حصلـت عـلى الإعداديـة – وعيـب التعلـم الوحيـد هـوأن نفسـك قـد تعـف عـن ممارسـة الأعمـال الـتي يؤديهـا الجهلـة بنفـس راضيـة مطمئنـة..

لكن هناك الدكتورة (منال)..

أعشـق القـراءة منـذ صغـري، لكنـني مـن أسرة لا تسـمح إمكانياتهـا الماديـة بابتيـاع الكتـب إلا المسـتعمل منهـا وإن نقصـت صفحاتـه، وهاهـي المشـكلة ذي تتكـرر.. أنـا هنـا أقـضي طيلـة اليـوم، في لا شيء تقريبًـا، ولا يوجـد أمامـي مـا يصلـح

للقـراءة سـوى تلـك المراجـع الضخمـة، ذات الأغلفـة المصقولة، والكلمـات اللاتينيـة الـتي تحتـاج إلى أكـثر مـن شـهادتي الإعداديـة لفـك طلاسـمها.. الحـل إذن.. أن أكتـب مذكـراتي..

وسـيلة لا بـأس بهـا لقتـل الوقـت، وإن كان عـليّ تحمـل نظـرات السـخرية مـن زمـلائي والعاملـين هنا..

عامل نظافة يكتب مذكراته.. ياللهول!!

لكن هناك الدكتورة (منال)..

إنهـا.. إنهـا.. زهـرة هـذا المـكان.. النسـمة الوحيـدة الـتي تمـر عـبر الممـرات الكئيبـة لهـذه المؤسسـة.. الوحيـدة الـتي أقنعتـني بـأن العمـل هنـا لا بـأس بـه، إن كنـت سـأصيب ابتسـامة منهـا كل يـوم.. وأنـت لـم تـر ابتسـامة الدكتـورة (منـال)!

صدقني.. إنها تستحق..

لكن ما الذي تفعله الدكتورة (منال) بالضبط؟!

الواقع أن هذا يستحق بعض الإهتمام..

***

الأحد ١٦ مايو..

أمتـع مـا يمكـن لإنسـان فعلـه هـوأن يراقـب الدكتـورة (منـال) وهـي تعمـل..

ترتـدي المعطـف الطـبي الأبيـض.. تدخـل إلى تلـك المحميـة الطبيعيـة الـتي صممتهـا المؤسسـة خصيصًـا لهـا لتمـارس تجاربهـا عـلى النباتـات.... وموسـيقى هادئـة تنبعـث مـن جهـاز التسـجيل.... بالنسـبة لهـم - مـن يديـرون المؤسسـة - لـكل نبـات داخـل المحميـة، اسـم علمـي منمـق، وملـف بالتجـارب الـتي تمـت عـلى هـذا النبـات، والدكتـورة (منـال) ذاتهـا تمثـل ملفًـا هـي الأخـرى، يسـجل فيـه كـم مـا حققتـه للمؤسسـة حـتى الآن مـن نتائـج... هـذا بالنسـبة لهـم...

بالنسـبة لي كانـت الدكتـورة (منـال) تبدوكسـندريلا وسـط الزهـور وأوراق النباتـات، كأنمـا تصنـع معهـم، لوحـة طبيعيـة متحركـة، هـي بطلتهـا الوحيـدة...

كانـت الدكتـورة (منـال) دائمـا مـا ترحـب بي داخـل محميتهـا، وكثـيرا مـا تركتـني أراقبهـا وهـي تحمـل اصيـص زرع، لتضعـه على جهـاز عجيـب، يخـرج شرائـط ورق عليهـا خطـوط متموجـة...

أي أحمـق لـن يفهـم معـنى هـذه الخطـوط لكـن الدكتـورة (منـال) شرحـت لي... إنهـا تعـبر عـن إحسـاس النبـات، فهـي تنسـاب بنعومـة حـين تتوفـر للنباتـات البيئـة المثلي، بينمـا تتلوى بجنـون، إذا قطعـت أحـد أوراق النبـات وهوعـلى الجهـاز...

النبات يشعر ويتألم... وربما يحب!

هكذا قالت لي الدكتورة (منال)....

***

الاثنين ١٧ مايو..

اليـوم أخبرتـني الدكتـورة (منـال) أنهـم عـثروا عـلى فصيلـة نـادرة مـن النباتـات... عـلى بـذور هـذه الفصيلـة بالتحديـد.... سـبع بـذور لمزيـد مـن الدقـة...

أخبرتـني الدكتـورة (منـال) أن البـذرة الواحـدة تسـاوي ثـروة، لكنهـا إن نجحـت في زرع أحـد هـذه البـذور في البيئـة المناسـبة، وقامـت بإجـراء تجاربهـا عـلى النبـات ذاتـه، فقـد تحقـق السـبق العلمـي الـذي طالمـا سـعت إليـه....

سـاعدتها بنفـسي عـلى إعـداد أصيـص الـزرع، ودفنـا البـذرة الأولى في السـماد الصناعـي الـذي يحتـوى عـلى كل مـا يشـتهيه النبـات مـن مـواد وأمـلاح... لـم يكـن الأمـر شـاقًا بالطبـع ولـوكان، فالدكتـورة (منـال) تسـتحق..

أخبرتـني الدكتـورة (منـال) أن الأمـر سيسـتغرق وقتـا طويـلاً، وهـذا معتـاد... وأنـا أثـق في كل مـا تقولـه الدكتـورة (منـال)...

كل مـا عـليّ فعلـه هـوأن أدعـوالله أن ينبت هـذا النبـات سريعًا مـن أجل الدكتـورة (منـال)...

وهذا ما سأفعله!

***

الثلاثاء١٨ مايو..

لكم هي متفانية... لكم هي رائعة...

أراهـا كل يـوم – الدكتـورة (منـال) ولا أحـد سـواها! – تعتـني بأصيـص النبـات الجديـد، كأنـه طفلهـا الرضيع...أحيانـا أشـعر أن هـذه البـذور داخـل الأصيـص هـي أول رابـط حقيقـي بيننـا... كأنهـا ابننـا الـذي لـن يولـد!

نجلـس يوميًـا نراقـب الأصيـص لسـاعات طويلـة، منتظريـن تلـك اللحظـة الجهنميـة، الـتي سـيخرج فيهـا البرعـم الأخـضر إلى السـماء، ليعلـن عـن وجـوده... لكـن الانتظـار سـيطول ونحـن نعـرف هـذا...

رأيتهـا وقـد اسـتبد بهـا الفضـول، تضـع أصيـص النبـات في الجهـاز الـذي يسـجل الموجـات الـتي يصدرهـا النبـات، وقالـت:

- على الأقل سنعرف إن كانت البذرة حية...

لكـن شرائـط الـورق الـتي خرجـت مـن الجهـاز، كانـت تحمـل خطًـا مسـتقيمًا طويـلاً، كالـذي يصـدره جهـاز رسـم القلـب حـين تحـين لحظـة النهايـة... لقـد رأيـت جهـاز رسـم القلـب حـين كان متصـلا بوالـدتي – يرحمهـا الله – وأعـرف معـنى هـذا الخـط السـخيف جيـدًا....

بدا الإحباط على الدكتورة (منال)، وقالت:

- سأتركه للغد، ثم سأجرب مع بذرة أخرى....

حاولـت مواسـاتها، لكنـني وكمـا قلـت مـن قبـل، لا أملـك لهـا

سـوى الدعـاء...

وهذا ما سأفعله مجددًا....

***

الأربعاء ١٩ مايو..

لا زلنا ننتظر...

***

الخميس ٢٠ مايو..

قـررت الدكتـورة (منـال) الإبقـاء عـلى الأصيـص الأول، لكنهـا وضعـت البـذرة الثانيـة، في أصيـص جديـد، ولا زلنـا ننتظـر...

***

الجمعة ٢١ مايو..

متى يأتي الغد؟!!

***

السبت ٢٢ مايو..

مزيد من الإحباط!

***

الأحد ٢٣ مايو..

لم أتوقع أنا أوالدكتورة (منال) تلك المفاجأة المذهلة...!

كنـا أول مـن وصـل إلى المؤسسـة، كعادتنـا منـذ فـترة، لنـسرع سـويا إلى المحميـة الطبيعيـة عـلى أمـل مسـتمر في جديـد... أي

جديـد...

لكننـا هـذه المـرة حـين وصلنـا كان المشـهد أمامنـا أشـبه بمعجـزة....

كان أصيـص الـزرع أمامنـا وقـد نمـا ذلـك النبـات النـادر بصورة جهنميـة، في صـورة مجموعـة ضخمـة مـن السـيقان الخـضراء الملتفـة حـول نفسـها بتشـكيل عجيـب معقـد، وبارتفـاع لا يمكـن حدوثـه في ليلـة واحـدة....

ليـس هـذا فحسـب، فأحـد الأصيصـين كان عـلى جهاز تسـجيل الموجـات، الـذي أخـذ يقـذف في وجوهنـا شرائـط ورق تحمـل تموجـات عنيفـة، لـم أر مثلهـا مـن قبـل...

لا يمكنـني أن أصـف لـك كيـف كانـت حالـة الدكتـورة (منـال) لكـنى سـأتجاوز ذهولهـا مـن هـذا الـذي حـدث، وسـأنقل لـك اللحظـة الـتي أمسـكت فيهـا شرائـط الـورق، لتتفحـص التموجات باهتمـام علمـي يليـق بهـا تمامًـا...

استغرقت وقتا طويلا، قبل أن تقول:

- لست أفهم...

تجرأت أنا لأسال:

- هل يتألم هذا النبات؟ أعني ربما لا تناسبه البيئة هنا...

لكنها هزت رأسها لتقول:

- لا... هـذه التموجـات طبيعيـة، لكنهـا مضخمـة، كأن غابـة كاملـة الـتي تصدرهـا...

وعادت لتفحص الأوراق، مكررة:

- لست أفهم....

لـذت بالصمـت لأسـمح لهـا بالتركـيز، وحـين طـال صمتهـا قـررت أن أتركهـا لأواصـل عمـلي - إنـني لسـت المسـئول عـن مراقبتهـا هنـا - لكـني قبـل أن أتـرك المـكان، التفتـت إلي الدكتورة (منـال) لتسـأل:

- لحظـة... أنـا لـم أضـع هـذا الأصيـص في الجهـاز أمـس... كيـف انتقـل إذن؟!!

***

الاثنين ٢٤ مايو..

الدكتورة (منال) تغيرت...

لـم تعـد تلحـظ وجـودي، بـل أصبحـت لا تلاحـظ أي شيء يحـدث حولهـا، وقـد انصـب اهتمامهـا كلـه عـلى نباتهـا النـادر، الـذي بـدأت أمقتـه دون سـبب مفهـوم...

إنه... إنه ينافسني على الدكتورة (منال)!

اليـوم مـررت عليهـا لمتابعـة آخـر التطـورات، حـين حـدث ذلـك الـشيء العجيـب الـذي أثـار هلعـي...

كانـت الدكتـورة (منـال) تمسـك بأحـد أوراق النبـات تفحصهـا بعدسـة مبكـرة، وكنـت أنـا عنـد البـاب في هـذه اللحظـة، أناديهـا قائـلا:

- أي خدمة يا الدكتورة (منال)؟

ويبدوأنها كانت مستغرقة تماما فيما تفعله، إذا انتفضت على صوتي، والتفتت لي بحدة وهي لا تزال تمسك بورقة النبات، لتقطعها دون قصد.... دون قصد لكن النبات لم يقدر هذا...

فجأة تلوت فروع النبات كله بحركة افعوانيه عجيبة، وأخذ ينفث ذلك البخار الأخضر في سماء الغرفة....

أخضر...أخضر... أخضر... لثوان استحال لون المكان كله إلى الأخضر...

صوت الهسيس الصادر عن النبات امتزج بصرخة الدكتورة (منال) المذعورة، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أقفز في اللون الأخضر أمامي، لأنقذها من أي شيء قد يجرؤ على التعرض لها...

كانت الرؤية منعدمة أمامي، لكن العجيب أن هذا البخار كان بلا رائحة على الإطلاق كأنه مجرد صبغه للهواء، لكنى تجاهلت هذه الحقيقة حينها وأخذت أتحسس طريقي حتى اصطدمت بذراع الدكتورة (منال) لأقبض عليها بقوة، هاتفا:

- لا تقلقي.... سأخرجك من هذا...

لكن يدًا حديدية قبضت على عنقي بغتة لتخرسني، ولتبدأ في اعتصارها بقوة لا ترحم!!

وكرد فعل طبيعي ازدادت قوة قبضتي التي تقبض على

ذراع الدكتـورة (منـال) فارتفـع صـوت صراخهـا أكـثر، وقـد أصابنا هـذا اللـون الأخـضر – اللعـين - بالعمـى تمامـا...

كنـت أختنـق وبـدا وكأن حنجـرتي ستتهشـم في أيـة لحظـة، فتركـت ذراع الدكتـورة (منـال)، لأحـاول إبعـاد تلـك اليـد المخيفة عـن عنقـي لكـن دون جـدوى...

أختنق ببط واللون الأخضر البهيج يغمرني من كل صوب...!

يتحـول اللـون الأخـضر إلى أسـود وقـد غـاب الهـواء مـن جسـدي، وتتراخـى ذراعـي جـواري باستسـلام وصراخ الدكتـورة (منـال) يـتردد في أذني و... و...

وما حدث بعد ذلك رواه لي قريبي الذي أحضرني إلى هنا...

صراخ الدكتـورة (منـال) اجتـذب الجميـع إلى المحميـة، حيـث تعاونـوا عـلى إخراجنـا حيـين - لحسـن الحـظ - لكـن هـذا ليـس كل شيء....

شيئان أخبرني بهما قريبي أثارا ذعري وإلى أقصى حد....

أولاً.. أنـه لـم يكـن هنـاك دخـان أخـضر حـين دخلـوا المحميـة... لـم يـر أحـد هـذا الدخـان!!

ثانيـا.. أن اليـد الـتي كانـت تقبـض عـلى عنقـي، والـتي كادت تقتلـني، كانـت يـد، الدكتـورة (منـال) ذاتهـا!!

***

الثلاثاء ٢٥ مايو..

لـم أسـتطع الذهـاب إلى العمـل، إذ لازلـت تحـت تأثـير صدمـة الأمـس....

ترى أين هي الدكتورة (منال) الآن؟!!

***

الأربعاء ٢٦ مايو..

الدكتورة (منال) لم تأت إلى العمل اليوم...

***

الخميس ٢٧ مايو..

لقـد بـدأت أقلـق عـلى الدكتـورة (منـال)... إنهـا لـم تـأت اليـوم أيضًـا....

***

الثلاثاء ٢ يونيو..

لقد اختفت الدكتورة (منال)...!

قضيـت الأيـام الماضيـة في انتظارهـا ثـم بـدأت أبحـث عنهـا، حـتى إنـني تمكنـت - بوسـيلة مـا - مـن الحصـول عـلى عنـوان منزلهـا، وذهبـت إلى هنـاك لأطمـئن عليهـا - وإن كان هـذا ليـس مـن حقـي في الواقـع - لكـني لـم أجدهـا هنـاك كذلـك....

أين ذهبت الدكتورة (منال)؟؟!!

***

الجمعة ٦ يوليو..

لـم أعـد منتظمًـا في كتابـة مذكـراتي لكـن مـا حـدث اليـوم يسـتحق التسـجيل حقـا...

في السـابعة مسـاءًا كنـت أتابـع ذلـك البرنامـج التلفزيـوني الشـهير، حـين سـمعت طرقـات عـلى بـاب مـنزلي، فنهضـت متململـاً لأفتـح البـاب، وأنـا أدعـوالله ألا يكـون الحمـاس قـد اسـتبد برفـاقي، ودفعهـم للمجـيء إلى هنـا، لكـنى حـين فتحـت البـاب أطلّـت عـليّ الدكتـورة (منـال) بابتسـامتها الهادئـة، لتصيبـني بحالـة مـن الذهـول عجـزت معهـا عـن النطـق....

كانت هي من نطقت لتقول:

- مرحبا....

- أيـن كنـت؟!... بحثـت عنـك في كل مـكان... أعـني... لقـد قلـت و...

- ارتد ملابسك وهيا بنا...

- إلى أين؟!!

- إلى هناك.... إلى المحمية...

سـأتجاوز كل التفاصيـل الـتي لا داع لهـا وسـأقفز إلى اللحظـة الـتي دخلنـا فيهـا إلى المحميـة لنجـد نباتنـا النـادر وقـد اسـتطال حـتى كاد يلامـس السـقف... لسـت أفهـم شـيئًا في النباتـات، لكـن نمـو هـذا النبـات غـير طبيعـي وأنـا أثـق في هـذا....

- هذا النبات غير طبيعي...

قالتهـا الدكتـورة (منـال) وكنـت أعـرف هـذا مسـبقا، ثـم واصلـت:

- الدخـان الأخـضر الـذي تنفسـناه... لقـد كان ذا تأثـير غـير طبيعـي... لقـد قضيـت الأيـام الماضيـة في دراسـة تأثـير هـذا الدخـان علينـا...

سألتها بحذر:

- وهل توصلت إلى شيء محدد؟!

- تحسس نبض يدك رجاءً..

- لماذا؟!

- لأنك لن تشعر بشيء...!

- ماذا؟!!!

وتحسسـت يـدي بدهشـة بحثـا عـن أي نبـض، فتحولـت دهشـتي إلى ذعـر حقيقـي حـين شـعرت بيـدي البـاردة ميتـة تمامًـا، لا نبـض فيهـا ولا حيـاة...

ألقـت إليّ الدكتـورة (منـال) بسـماعة طبيـة قائلـة بـذات الـشرود:

- خـذ هـذه لـوأردت التأكـد، لكنـني سـأخبرك بالنتيجة مسـبقًا.... لا نبـض... قلبـك توقـف عـن الخفقـان... مثـل قلـبي بالضبط...

شـعرت بالسـخف ممـا أسـمعه، لكـن يـدي البـاردة ظلـت

صامتة، لا تنقل إلى أناملي أي نبض، فجربت أن أضع السماعة الطبية على صدري، وبعد إصغاء استمر لبضع دقائق.... تأكدت لي حقيقة أن قلبي متوقف عن العمل تمامًا..!!

خط طويل سخيف... هذا هوما سيسجله جهاز رسم القلب لووصلوه إلى صدري الآن....

سألت والأفكار تثور في رأسي:

- وما الذي يعنيه هذا؟!.. هل..هل متنا؟!!

لكن إجابتها جاءت أكثر غرابة:

- لا... لم نمت... بل نتحول...

***

السبت٧ يوليو..

من الآن على الانتظام في تسجيل مذاكرتي لتسجيل أي تغيرات تطرأ على جسدي كما طلبت مني الدكتورة (منال)....

عادت الدكتورة (منال) إلى العمل، لتواصل دراستها على ذلك النبات الشيطاني، المستمر في النمو، حتى كاد يحتل المحمية الطبيعية كلها، بسيقانه الملتوية، وأوراقه التي تصدر ذلك الغاز الأخضر إذ قطعت....

يجب أن نفهم ما حدث لنا.... يجب...

حين عدت إلى المنزل، فحصت جسدي أمام المرآة بحثًا

عـن أي تغـيرات، فلـم أجـد شيء غـير طبيعـي....

لازلـت نحيفًـا كئيـب الملامـح، ولازلـت عظامـي البـارزة تؤكـد عـلى فقـري المدقـع...

فقـط لا قلـب ينبـض رغـم لاسـتحالة هـذا طبيًـا أوعلميًـا كمـا أكـدت لي الدكتـورة (منـال)....

لكننـا قررنـا الاحتفـاظ بهـذا كلـه سرًا، حـتى تسـتطيع الدكتـورة (منـال) كشـف طبيعـة مـا أصابنـا...

ترى هل ستستطيع الدكتورة (منال) فعل هذا حقا؟!!

***

الأحد ٨ يوليو..

عـلى الأقـل أصبـح هنـاك رابـط حقيقـي بيـني وبـين الدكتـورة (منـال)....

حالتنـا العجيبـة أزالـت حواجـز كثـيرة بيننـا، وأصبحـت أقـضي جـمّ وقـتي معهـا في المحميـة الطبيعيـة، حـتى بعـد انتهـاء الـدوام الرسـمي....

لا حظنـا أننـا فقدنـا شـهيتنا للطعـام، كأنمـا أصبـح جسـدنا الميـت يـأبى أي طعـام... كذلـك تقلصـت سـاعات نومنـا إلى سـاعتين فقـط ويبدوأننـا في طريقنـا للإصابـة بـالأرق الدائـم...

الدكتـورة (منـال) تحولـت إلى آلـة رصـد، ترقـب كل مـا يفعلـه النبـات، وتـدرس تلـك التموجـات المتضخمـة الـتي يصدرهـا، عـلى أمـل أن تحمـل لنـا أي تفسـير...

على كل حال لم يحمل لنا اليوم أي جديد...

فقـط لاحظـت أنـني حـين جرحـت يـدي بطريـق الخطـأ، لـم أنـزف أي دم...

سؤال أخر ننتظر أن يجيبنا عليه هذا النبات النادر...

فهل يفعل؟!!!

***

الاثنين ٩ يوليو..

لـم نعـد ننـام وأصبـح الإرهـاق هوالسـمة الغالبـة عـليّ وعـلى الدكتـورة (منـال)....

المسـئولون عـن المؤسسـة لا حظـوا وضعنـا ولـم يبـدوا أي اعـتراض، ولا بـد أنهـم أعـدّوا ملفًـا جديـدًا عـني يسـجلون فيـه ملاحظـات مبهـرة...

لكـن ملـف النبـات ذاتـه ظـل يحمـل علامـات اسـتفهام لا إجابـات لهـا، حـتى قـررت الدكتـورة (منـال) إجـراء تجربـة عجيبة لـم أفهمهـا بالظبـط، لكنـني سـأنقل لـك مـا قالتـه لي حرفيـا:

- سـنحاول تحويـل هـذه الموجـات الـتي يصدرهـا النبـات إلى صـورة أخـرى مـن صـور الطاقـة، علّنـا نفهـم مـا الـذي تعنيـه...

وعمـلاً بهـذه القاعـدة أحـضرت الدكتـورة (منـال) مجموعـة عجيبـة مـن الأجهـزة أخـذت توصلهـا بالجهـاز الـذي يسـجل

موجـات النبـات، وأخـذت أنـا أراقـب هـذا كلـه منتظـرًا أي نتيجـة...

عـلى كل حـال مـر اليـوم سريعـا دون أن نظفـر بهـذه النتيجـة الموجودة...

وما زلنا ننتظر...

***

الثلاثاء ١٠ يوليو..

يجب أن أسجل كل ما حدث بسرعة فلا وقت أملكه...

اليـوم تمكنـت الدكتـورة (منـال) مـن حـل لغـز هـذه التموجـات، فلقـد اسـتخدمت ..الـ ... لا وقـت... بسرعـة... الكمبيوتـر فعلهـا وبرامـج الترجمـة حولـت لنـا مـا يقولـه النبـات إلى...

لا وقت... لا وقت...

الدكتـورة (منـال) أوصلـت الأجهـزة الجديـدة بالكمبيوتـر الـذي قـرأت عـلى شاشـته هـذه الكلمـات الرهيبـة:

((حـان وقـت عودتنـا... هنـاك أجسـاد بشريـة تصلـح لعمليـة الانتقـال...))

هـذه الكلمـات كان يصدرهـا النبـات في صـورة الموجـات المتضخمـة، وهـذا يفـسر كل شيء....

أجسادنا ميتة لأنها لم تعد ملكنا، بل ملكهم....

مـن هـم؟!! لا أعـرف ولـن أجـد الوقـت لأفعـل، الدكتـورة (منـال) وجـدت حـلاً جذريًـا للمشـكلة كلهـا....

إنهـا تشـعل النـار الآن في المحميـة بعـد أن حبسـتنا فيهـا... حاولـت منعهـا لكـن...

رباااه ..

النبات.... إنه....

.....

***

الملف (١٠١٩) قسم الأبحاث العلمية

إلى هنا تنتهي المذكرات التي عثرنا عليها بعد أن احترقت المحمية الطبيعية، ولولاها لما فهمنا شيئا مما حدث...

الدكتورة (منال) وعامل النظافة المسكين - الذي لا أفهم كيف كان يكتب مذاكراته هذه - كانا الضحيتين الوحيدتين للحريق....

يبدوأن الدكتورة (منال) كانت تحاول التخلص من النبات، لكنها فشلت!

النبات لم يحترق كأن النار لا تؤثر فيه بالمرة وهكذا تمكنا من دراسته لنفهم ما حدث... وما سيحدث...

النبات كان يصدر غازًا خاصًا يؤثر على الأعصاب، ويصيب من يتعرض له بالجنون، وهذا يعني أننا نجحنا...

هذا هوالسلاح البيولوجي الكامل كما أردنا، ولولا أننا قررنا التضحية الدكتورة (منال) لما تأكدنا من فاعليته...

يمكننا الآن إغلاق الملف...

وإعلان أن التجربة نجحت...

د. عادل فهمي

أزرق

يطلقون عليها الزرقة الرميّة..

الاسـم نفسـه مثـير للتوجـس.. لكنهـا علامـة مهمـة جـداً في الطـب الشرعـي.. لأنهـا تحـدد الموضـع الـذي كانـت عليـه الجثـة في السـاعات القليلـة التاليـة للوفـاة، ولكـم مـن منتحـر وجـدوا الزرقـة الرميّـة عـلى ظهـره، ممـا جعلهـم يدركـون أنـه قتـل قتـلاً عـلى الأرض، ثـم علقـه قاتلـه عـلى المشـنقة ليخـدع رجـال الشرطـة....إن القصـص المُشـابهة كثـيرة جـداً...

يطلقون عليها الزرقة الرمية..

وأنـا أحـب اللـون الأزرق، وأكـره أن يرتبـط بـشيء رهيـب مثـل الموت..لكـن - للأسـف - يظـل لـون الجثـث البـاردة والأطـراف المرشـحة للبـتر أزرق.. أردنـا هـذا أولـم نـرد..

***

كنـت طالبـاً فقـيراً في تلـك المدينـة الصاخبة العجوز.. لا تسـأل عـن الظـروف ولا الضغـوط الـتي جعلتـني أعمـل في المشرحـة.. نحـن لا نختـار الوظائـف الـتي تُعـرض علينـا وقـد كنـت في حاجـة ماسـة للمـال..

كان صاحـب المشرحـة ومديرهـا ورئيـس مجلـس إدارتهـا هوعمر (عثمـان).. وهورجـل نـوبي ظريـف لـه جلـد يشـبه الباذنجـان

الأسـود، وكان مـن أسرة اعتـادت العمـل هنـا منـذ دهـور. في كل عـام تطـرح المستشـفى مناقصـة لمـن يتـولى أمـور المشرحـة لأعـلى إيجـار، فـكان هـو يفـوز بهـا في كل مـرة، ومـن يمنعـه مـن ذلـك يكـن هوالجثـة التاليـة الراقـدة في هـذه المشرحـة....

والسـبب؟.. مـن قـال إن عمـل المشرحـة ليـس مربحـاً؟.. إنـه حانـوتي يكسـب الكثـير، ودخـول المتوفـين في المستشـفي إجباري إلى مشرحتـه هـو.. لا أحـد يهـرب.. عندهـا يعامـل أهـل المتـوفى كمـا ينبغـي.. أسـعار سـياحية لا تسـمع عنهـا إلا في أفخـم فنـادق البحـر الأحمـر.. والنـاس مضطـرة إلى الدفـع لأنهـم يريـدون إنهـاء عذابهـم سريعـاً..

كنـت أسـاعده في عملـه وبالطبـع أنـال جـزءاً مـن الغنيمـة.. لـم أكـن أتلقـى راتبـاً، لكـن النسـب الـتي كان يمنحـني إياهـا كانـت تكفيـني لأسـدد مصروفـاتي وأرسـل مائتـين أوثلاثـة إلى أسرتي في القريـة.. طبعـاً لـم يكـن أحـد في بلـدتي يعـرف طبيعـة عمـلي. كنـت أزعـم لهـم أنـني أنسـخ المسـتندات في مكتـب مـا.. لوعرفـت أمـي بمصـدر المـال الـذي أرسـله لتشـاءمت وأبـت أن تمسسـه.. وهوتفكـير قـاصر طبعـاً لأن العمـل هوالعمـل.. لابـد مـن بائـس مـا يغطـس في المجـاري لتسـليكها، ولابـد مـن بائـس مـا يصطـاد الـكلاب المصابـة بالسـعار والجـرب، ولابـد مـن بائـس مـا يقـوم بربـط فكـوك المـوتى بالشـاش..هذه أشـياء كصـلاة الجنـازة: إن قـام بهـا واحـد سـقطت عـن الجميـع، وإن لـم يقـم بهـا أحـد أثـم الجميـع..

عـلى أن لهـذه المهنـة نفعـاً لا شـك فيـه. إنهـا تعلمـك التواضـع.. تجعلـك متديناً بحـق مـا لـم تكـن لصاً أصيـلاً مثـل عـم (عثمـان).. أنـت هنـا تعيـش في المنطقـة الفاصلـة بـين المـوت والحيـاة، وكل زبائنـك كانـوا يمزحـون ويدخنـون ويدبـرون المكائـد منـذ أربـع أوخمـس سـاعات... الآن هـم أشـياء رهيبـة ترقـد بانتظـار مـن يريحهـا الراحـة الأخـيرة.. إنهـا لعبـة كـراس موسـيقية.. اليـوم أنـت واقـف هنـا وهـم رقـود. غـداً أنـت راقـد عـلى هـذه المنضـدة وهنـاك مـن يقـف..

لهـذا كنـت أكـثر مـن قـراءة القرآن..وأحافـظ عـلى ميقـات الصـلاة بدقـة.. سـوف أعـترف بـأن هـذه الفـترة هـي أخصـب فـترات حيـاتي مـن الناحيـة الدينيـة..

أعتقـد أن الأمـر يتعلـق بدرجـة معينـة مـن الشـفافية.. ثمـة حاسـة سـابعة أوثامنـة قـد اسـتيقظت في أعمـاقي مـع هـذه التجربـة الغريبـة.. التديـن.. معايشـة المـوت.. العزلـة.. الجهـد الصـادق.. وفي الأيـام الأخـيرة تكـررت معـي تلـك الحـوادث الغامضـة الـتي تمـر بنـا مـن حـين لآخـر.. تفكـر في صديـق فتجـده أمامـك.. تشـعر بانقبـاض فتحـدث كارثـة.. الـخ.. لكـني لـم أحـاول أن أتوقـف كثـيراً مـع هـذه الأحـداث..

بدأ كل شيء أمس..

في التاسـعة مسـاء دخلـت المحفـة إلى المـكان.. حينمـا تمـارس أيـة مهنـة لهـا علاقـة بالطـب أوالمـوت، لابـد أن تمـيز أذنـاك

صـوت المحفـة وهـي بعـد في الممـر الخارجـي.. وكنـت وحـدي تلـك الليلـة..

كان الراقــد عــلى المحفــة رجــلاً في الخمســين مــن العمــر.. يبدوأنــه ليــس معدمــاً..

وقــال لي أحــد الرجلــين اللذيــن جــاءا بــه، وهمــا رجــلان لــم أرهمــا قــط هنــا:

ـ «وجـدوه ميتـاً في الزقـاق المجـاور.. لا يبـدوأن هنـاك جريمـة في الأمـر.. لا أوراق.. إنـه ناقـص الأهليـة..»

وقال آخر وهويجفف عرقه:

ـ «ربمـا كانـت أسرتـه تفتـش عنـه الآن.. وربمـا لـم تكـن لـه أسرة.. لا نعــرف..»

رفعت الملاءة وتأملت وجهه ثم سألت في حيرة:

ـ «ما سر هذا اللون الأزرق الذي تلون به جلده بالكامل؟»

قال أحدهما بلا مبالاة:

ـ «وما الفارق؟... لوكان لونه أحمر لسألت السؤال ذاته..»

وقال الآخر بلا مبالاة هوأيضاً:

ـ «ربما كان يشتغل في الأزرق»

قالهــا دون أن يضحــك، وكــذا لــم يضحــك أحــد.. هنــاك دعابــات تقــال لكنهــا لا تطالــب بجمهــور أوحــق أداء علــني.. تقــال لمجـرد إخـراج الملـل أوالضغـط العصـبي.. عـلى كل حـال

لابـد أن عيـني ليسـتا عـلى مـا يـرام.. فأنـا اشـعر أن المسـعفين أيضـاً لونهمـا أزرق.. معـنى هـذا أنـني أخـرف...

وهكـذا تسـلمت هديتهمـا الرهيبـة، ففتحـت درج الثلاجـة الكبـير ووضعـت فيهـا ذلـك البائـس..

لـم يكـن الطـب دراسـتي لكـني قـرأت كل مـا وقـع في يـدي مـن مواضيـع طبيـة كتبـت بالعربيـة.. هنـاك حـالات معينـة مـن المـوت بالغـازات تسـبب هـذا اللـون الأزرق.. أول أكسـيد الكربـون يجعـل لـون القتيـل أحمـر لـذا يسـمونه (المـوت الأحمـر).. لـن أعـرف الإجابـة لكـن دعـني أؤكـد لـك أن زرقـة هـذا المتـوفى كانـت تختلـف عـن زرقـة المـوتى الـتي أعرفهـا.. كأن هنـاك مـن ألقـاه في دلوبـه طـلاء أزرق بمجـرد وفاتـه..

بعـد مـا خـلا المـكان عـدت إلى جلسـتي السـابقة..كوب الشـاي ولفافـة التبـغ.. أعـترف أنـني كنـت أدخـن مـن حـين لآخـر.. وهـي خطيئـة بالنسـبة لمـن هومثـلي في حاجـة لـكل مليـم، لكـني كنـت أسـمح لنفـسي بهـا مـن وقـت لآخـر لأعتقـد أنـني (أمـرح).. جـوار لفافـة التبـغ الكتـاب الـذي كنـت أدرس فيـه.. أنـا طالـب في كليـة الآداب برغـم كل شيء..

حاولـت أن أركـز فيمـا أقـرأ لبعـض الوقـت، لكـن شـعوراً غريبـاً مـن التوتـر اسـتبد بي.. أعـرف هـذا التوتـر غـير القابـل للتفسـير والـذي يحـدث أحيانـاً ويمـضي أحيانـاً... خـوف؟.. لا.. لقـد كفـت هـذه المهنـة عـن أن تثـير في أي شيء سـوى الملـل...

خيـل إلي أنـني أسـمع صوتـاً مـا مـن داخـل الثلاجـة.. هـذا أيضـاً شيء معتـاد في المهنـة.. لابـد حينمـا تكـون وحيـداً ليـلاً أن تسـمع جلبـة مـن حيـث يرقـد المـوتى.. ظاهـرة ينتصـب لهـا شـعر رأسـك في البدايـة.. ثـم تتعلـم مـرة بعـد مـرة أن المصـدر الوحيـد للصـوت هوعقلـك المكـدود...

لكـني قـررت برغـم كل شيء أن أنهـض متثاقـلاً.. اتجهـت إلى الثلاجـة وفتحـت درجهـا العمـلاق..كان المتـوفى حيـث هولـم يتحـرك.. أزحـت المـلاءة وأعـدت النظـر إلى وجهـه.. بالفعـل تتزايـد الزرقـة أكـثر فأكـثر.. لابـد مـن تفسـير لهـذه الظاهـرة.. إنه رجـل أشـيب الشـعر لـه ملامـح نبيلـة.. أنفـه معقـوف كمنقـار النـسر ولـه شـفتان رفيعتـان حازمتان..واضـح انـه لـم يتعـذب كثـيراً أثنـاء احتضـاره..

قـرأت الشـهادتين وأعـدت غلـق الـدرج وعـدت إلى منضـدة الدراسـة..

بعد قليل سمعت صخباً.. أعرف هذا النوع من الضوضاء..

كان القـادم هو(مديـر أعمـالي).. عـم (عثمـان) جـاء ليمـضي بعـض الوقـت هنـا ويتفقـد الأحـوال..

لـم يكـن وحـده.. كان معـه رجـلان.. وقـد حيـاني بطريقتـه النوبيـة الظريفـة ثـم اقتادهمـا إلى الحجـرة الجانبيـة الصغـيرة الـتي كانـت حمامـاً ثـم جعلهـا مكتبـاً لـه، وهوأغـرب مكتـب يمكـن تخيلـه.. مكتـب لـه دوش يتـدلى مـن السـقف وماسـورة

تنحـدر عـلى السـيراميك.. ثـم ينتهـي كل هـذا فجـأة.. وكان في المـكان مكتـب عتيـق صـدئ مـن طـراز (إيديـال) وثلاثـة مقاعـد خشـبية مـن طـراز مقاعـد المقاهـي.. لهـذا كان يطلـق عـلى المـكان ببسـاطة اسـم (الـدورة)..

دخلـت إلى حيـث جلـس مـع الرجلـين وانتـشر الدخـان في هـواء الغرفـة الضيقـة، فنقلـت لـه خـبر القـادم الغريـب.. هـز رأسـه بمعـنى أنـه مطمـئن لـكل شيء مـا دمـت موجـوداً..

كان يتكلم بينما أنا أنظر إلى الرجلين..

هذا الوجه..

الرجـل الـذي يلبـس قميصـاً أبيـض.. هـذه الملامـح الوقـور.. هـذا الأنـف المعقـوف الشـبيه بمنقـار النسر..هـذا الشـعر الأشـيب..

أين رأيت هذه الملامح من قبل؟

***

بعد قليل خرج عم (عثمان) من الغرفة ليرى ما لدي..

كنـت أجلـس في تلـك القاعـة رديئـة التهويـة والإضـاءة أطالـع كتـبي عندمـا دخـل عـلي، فسـألته عـن هذيـن القادمـين معـه.. قـال وهويصلـح عمامتـه:

ـ «صديقان..»

ثم اتجه إلى الثلاجة ففتحها.. وسمعته يشهق..

نظـرت إلى حيـث وقـف وأنـا أتوقـع منـه تعليقـاً عـن اللـون الأزرق، لكنـه قـال في حـيرة:

ـ «أين وضعته؟»

دنـوت منـه أكـثر فوجـدت أن الـدرج خـال.. نعـم.. خـال تمامـاً!

صحت في هلع وغباء:

ـ «كان موجوداً.. أقسم بالله أنه موجود... أنا لا أفهم..»

نظـر لي بعينيـه الـتي يكتـسي بياضهمـا باللـون الأصفـر كطبيعة السـود ولـم يعلـق.. فقط قـال لي:

ـ «يبدوأنـك مرهـق.. هـل غـادر (المرحـوم) الثلاجـة؟..لا أظـن..»

قلت في جنون:

ـ «طبعـاً لا. أنـا لـم أفـارق المـكان.. لـم يسرقـه أحـد.. أنـا لا أفهـم.. أنـا لا أفهـم..!»

ثم صحت وقد تذكرت:

ـ «رجلا سيارة الإسعاف أحضراه.. سوف يؤكدان لك الأمر..»

قال وهويغلق الدرج:

ـ «إمـا أن الجثـة سرقـت منـك وأنـت جالـس هنا كأنـك (مقطف)

وإما أنك تكذب أوتتخيل..»

ـ «لا هذا ولا ذاك ولا ذاك..»

في هذه اللحظة ناداه أحد الرجلين فنظر لي بسرعة ثم عاد إلى الغرفة التي كانت حماماً فصارت مكتباً..

كنت أنا أفكر بلا انقطاع... الرعب الحقيقي هوأن حواسي تخدعني.. أفضل أن يكون الميت قد نهض وفر، لكن لا تقل لي من فضلك إن حواسي تخدعني..

هكذا ظللت أحك فروة رأسي كالمجانين محاولاً أن أفيق.. أفيق من ماذا؟.. أفيق من حالة اللاوعي التي تمر بي..

لا أعرف متى رحل الثلاثة.. لابد أن عم (عثمان) لم يرد أن يضايقني ثانية.. غداً سيناقش هذه الأمور معي بشكل أوضح...

وأمضيت الوقت أنظر في الكتاب غير عالم كيف يجب أن أفكر..

هل أصارحك بشيء؟.. كانت هذه أسوأ ليلة في حياتي.. لقد مر الوقت ثقيلاً واستعدت كل المخاوف القديمة من الموت..

على أنني في الثانية بعد منتصف الليل تذكرت أين رأيت تلك الملامح التي رأيتها على الجثة.. رجل أشيب الشعر له ملامح نبيلة.. أنفه معقوف كمنقار النسر وله شفتان رفيعتان حازمتان..إن هذا بالذات هوالرجل ذوالقميص الأبيض الذي

كان يجلس مع عم (عثمان)!..نعم.. لاشك في هذا..

لابد من تفسير لهذا.. هل فر الميت من الثلاجة ليجلس مع صديقيه؟.. هل هوأخوالمتوفي التوءم مثلاً؟

المشكلة إنني لوصارحت عم (عثمان) بهذا الرأي لأضفت نقطة أخرى إلى سجل خبالي..

***

في الرابعة صباحاً سمعت صوت المحفة.. هذه المرة رأيت مسعفين يدخلان المشرحة وهما يحملان محفة عليها وجه مكسو بملاءة..

كنت أعرف هذين الرجلين جيداً، وقد حياني أحدهما وقال:

ـ «وجدوه ميتاً في الزقاق المجاور.. لا يبدوأن هناك جريمة في الأمر.. لا أوراق.. إنه ناقص الأهلية..»

وقال آخر وهويجفف عرقه:

ـ «ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن.. وربما لم تكن له أسرة.. لا نعرف..»

هذه المحاورة تبدو مألوفة.. دنوت من الجثة وكشفت الوجه.. وارتجفت.. للحظة كف قلبي عن الخفقان.. هذه المرة بلا لون أزرق ولا شيء.. مجرد جثة يبدو السلام على وجهها. إنه الرجل ذوالقميص الأبيض.. الرجل أشيب الشعر

بملامحه النبيلة وأنفه النسري وشفتيه الرفيعتين..

لقد مات. إنه صديق عم (عثمان).. لا شك في هذا..

وحينما انصرف المسعفان رحت أفكر في معنى هذا كله.. جثة زرقاء تصل في الساعة التاسعة مساء.. بعد هذا تختفي الجثة.. ثم تصل من جديد غير زرقاء في الرابعة صباحاً..

صاحب الجثة بلا شك هوذلك الرجل الذي كان جالساً في (الدورة)..

ما معنى هذا؟

يقولون إن الميت يكون ميتاً بالفعل أربعين يوماً قبل موعد وفاته الحقيقي.. في هذه اللحظات يجلس مع الناس ويتكلم وهولا يعلم وهم لا يعلمون أنه ميت في وقت مقترض.. حكيت هذه القصة ذات مرة لعم (عثمان) فضحك ساخراً، وقال إن هذه خرافات.. عندهم في النوبة يعتقدون أن هذه الفترة نصف يوم.. ثم ماذا؟.. لا اذكر كل ما قاله لي...

الآن لنفترض أن حالة الشفافية التي مررت بها منحتني هذه الموهبة العجيبة.. لقد رأيت الرجل ميتاً قبل أن يموت فعلاً بسبع ساعات أوأقل.. وكانت العلامة التي مُنحتها هي أنني رأيته مصبوغاً باللون الأزرق.. بعد هذا فارق الرجل الحي رفيقيه وأمضى أمسية مع رفاق آخرين.. أمسية أرهق فيها صحته طبعاً أودخن جرعة أكثر من اللازم من المخدرات.. كل أصدقاء عم (عثمان) مدمنو مخدرات بالمناسبة.. هكذا

أصابتـه تلـك النوبـة القلبيـة في الزقـاق المجـاور للمستشـفى ووجـده أحدهـم وابلـغ الإسـعاف..

هل هذا السيناريو ممكن؟

كنـت غارقـاً في هـذه الخواطـر في الخامسـة والنصـف صباحـاً عندمـا تـردد الصـوت الرهيـب مـن جديـد.. هـذه مـن الليـالي الصاخبـة إذن..

عـلى أنـني تصلبـت عندمـا رأيـت المسـعفين اللذيـن كانـا يدفعـان المحفـة.. إنهمـا المسـعفان اللـذان رايتهمـا أول مـرة.. اللـذان احـضرا الجثـة الزرقـاء.. حقـاً إنـني أحمـق.. لمـاذا لـم أهتـم كثـيراً بلونهمـا الأزرق الـذي لا شـك فيـه..؟.. هـل همـا شـبحان؟.. هـل همـا ميتـان؟...

حاولـت ألا أظهـر جزعـي بينمـا همـا يقفـان أمامـي بحملهمـا الرهيـب..

قال أحدهما:

ـ «شاب دهمته سيارة مسرعة.. إنها ميتة شنيعة»

لم أعلق....

فقـط دنـوت مـن المحفـة ورفعـت طـرف المـلاءة لأرى صاحب هـذه الجثة..

بالفعـل كان اللـون الأزرق يغمـر كل شيء.. والآن فقـط تذكرت بـاقي مـا قالـه عـم (عثمـان) لي.. قـال لي إن هـؤلاء الذيـن يكونـون ميتـين فعـلاً وهـم لا يعلمـون، يكسـبون شـفافية خاصة..إنهـم

يـرون مـا لا يـراه غيرهـم.. يـرون أولئـك الذيـن سـيموتون مثلهـم في السـاعات القادمـة..!

الآن أتذكـر هـذه الكلمـات وأفهـم لمـاذا اكتسـبت هـذه الشـفافية...

إن الوجه الأزرق الراقد على المحفة كان وجهي أنا!

***

نيلـــي

الأزرق النيـلي.. بدايـة العالـم ونهايتـه.. هوقبـل الأشـياء وهوبعـد الأشـياء...

يقـول (سـليمان) وهويشـمر كمـي القميـص إلى منتصـف ذراعيه المفتولتين:

ـ «أنـا لا أتكلـم عـن الغـروب والـشروق.. تلـك الأوقـات الـتي يحلوللشـعراء أن يتغزلـوا في النيـل فيهـا.. أغلـب هـؤلاء (أفنديـة) لا يفارقـون مقاهيهـم في وسـط القاهـرة.. هـؤلاء لا يعرفـون أنهـم يتكلمـون عـن اللـون الذهـبي أوالقرمـزي.. أنـا أتحـدث عـن لحظـة بعينهـا مـن النهـار.. اللحظـة الـتي يصـير فيها النيـل أزرق نيليـاً فعـلاً كمـا في الكتـب.. كمـا خلقـه الله.. تحـدث أنـت عـن النيـل في الليل..عندهـا أنـت تتكلـم عـن الأسـود.. تحـدث عنـه عنـد الغـروب.. عندهـا تتحـدث عـن الأرجـواني.. لكنـني أتحـدث عـن النيـل حينمـا يكتسـب هـذا اللـون الأزرق النيـلي الهـادئ النـادر.. تشـعر لحظتهـا أن هـذا هوالنيـل حقـاً وقـد نـزع عنـه أقنعـة التكلـف والادعـاء..»

كنـت افهـم مـا يقـول إلى حـد مـا.. الرسـام التأثـيري الباريـسي الـذي لـم يكـن يرسـم محطـة (سـان لازار) إلا في سـاعة معينـة مـن اليـوم.. لا قبلهـا ولا بعدهـا، لأنـه يبحـث عـن نـوع معـين مـن الإضـاءة.. وبعـد أن تتـلاشى الإضـاءة الـتي يريدهـا كان

يحمل فرشاته ولوحة الرسم ويعود لغرفته في (مونبارناس).. هل كان (مونيه) أم (مانيه)؟.. ما زلت أخلط بين الاسمين..

كنت أفهم هذا وأفهم سر تعلق المرء باللون الأزرق النيلي الهادئ.. حتى في سحر (الكابالا) اليهودي يرمز هذا اللون للطبقة الرابعة (شسيد = الرحمة).. أي أنه يرمز إلى الأب.. إلى الحنان.. إلى العدل والخير والاتزان الكوني..

كان (سليمان) يدرس في المدينة، لكنه كان يصر على أن يعود إلى (كفر الزيات) كل يوم.. وفي الساعة المختارة كان يتوجه إلى النيل.. يمشي بضع دقائق على ضفته أويستقل قارباً يجدف به مطارداً الأزرق النيلي الجميل.. لهذا - ولأن هذه العادة ترافقه منذ الصبا - صارت له كتفان عريضتان تذكرانك بأكتاف المصارعين، وكان حجم ذراعه جديراً بالتأمل.. لن تكسب أية مشاجرة معه أبداً..

***

إنها الثالثة عصراً في هذا الوقت من السنة..

هويعرف الوقت بالضبط.. ويعرف أن الموعد يختلف في الشتاء...

كان هذا وقتاً ميتاً خاملاً... في الصيف تكون الشمس عمودية تماماً تجعل الجميع ينفرون من المشي.. في الشتاء يكون الطلبة والموظفون قد عادوا لديارهم..

لا أحـد عـلى الكورنيـش إلا بعـض العشـاق مـن القـرى المجـاورة.. طلبـة غالبـاً.. ينظـرون حولهـم في رعـب.. هنـا يختلـف العشـاق عـن عشـاق القاهـرة الذيـن ينظـرون لـك بوقاحـة وتحـد. إنهـم هنـا خائفـون مذعـورون مسـتعدون للتفرق في أيـة لحظـة.. ولـن يزيـد الأمـر عـلى بضـع جمـل تقـال بصـوت خفيـض وسرعـة ثـم يعـود كل منهمـا لـداره يحمـد الله عـلى نجاتـه هـذه المـرة..

يمـشي (سـليمان) في ثقـة متجهـاً إلى السـور.. تلـك الفتحـة الـتي اجتازهـا مئـات المـرات مـن قبـل.. يعـبر إلى الضفـة الترابيـة المنحـدرة.. يمـشي قليـلاً إلى أن يقابـل (محمـد عـصر).. المراكـبي العجـوز الجالـس جـوار الشـط لا يفيـق مـن الحشـيش.. العينان الحمـراوان المنهكتـان الضيقتـان.. السـحنة المربـدة الـتي تـشي بكيـف صاحبهـا.. برغـم هـذا كان الرجـل لطيـف المعـشر، وهـي تلـك الصفـة الـتي نلاحظهـا في الحشاشـين المسـنين حيـث يجعلهـم الحشـيش أهـدأ طبعـاً وأقـرب للتأمـل.

عـلى مسـافة متريـن يجلـس (يوسـف).. رجـل في الثلاثـين مـن العمـر لا يعـرف عنـه (سـليمان) إلا أنـه يصطـاد.. يصطـاد دائمـاً.. يصطـاد للأبـد.. القبعـة القماشـية الممزقـة عـلى رأسـه و(الغلـق) الـذي يحـوي شـيئاً مـاء، والصنـارة الطويلـة المتدليـة في المـاء أبـداً... لـم يـره قـط يسـتخرج سـمكة مـن المـاء.. لكنـه صـار مـن ضروريـات النيـل..

يسـأل (محمـد عـصر) عـن الأحـوال فيقـول هـذا إنهـا (زفـت)

كالعـادة.. ويضحـك حـتى يشخشـخ صـدره مـن فـرط مـا فيـه مـن بلغم . .

وبحـركات الواثـق الـذي فعلهـا مئـات المـرات مـن قبـل يـنزع (سـليمان) حذاءيـه ويلقيهمـا في القـارب الخشـبي، ثـم يدفعـه ليبتعـد مسـافة عـن الضفـة ثـم يثـب فيـه.. يفعلهـا مـن دون أن يطلـب الإذن مـن صاحبـه.. لقـد قضـت العـادة عـلى الفضـول أوالتسـاؤلات، وقـد اتفـق هـؤلاء القـوم ضمنـاً عـلى أن يفعـل كل منهـم مـا يريـد دون أن يسـأله الآخـرون أويسـألهم هـو..

يبتعـد القـارب ليتوغـل في النهـر الواسـع.. جـزر ورد النيـل تحيـط بـه فيخترقها..هـذه اللحظـة بالـذات أثـيرة إلى نفسـه. يحـرك المجـداف بألفـة وثقـة قاصـداً تلـك البقعـة الـتي يعرفهـا جيـداً.. البقعـة الـتي يـرى فيهـا اللـون الأزرق النيـلي..

يجـب أن نتوقـف هنـا لنؤكـد بعـض الحقائـق.. لـم يكـن (سـليمان) شـاعراً.. ولـم يكـن يتمتـع بثقافـة خاصـة.. فقـط كان النـداء يدعـوه كل يـوم لـيرى هـذا الأزرق العظيـم.. لـم يكـن يهتـم بتحليـل مشـاعره، ولا يهتـم بفهـم مـا يـدور بخلـده.. فقـط كان يريـد أن يُـترك وشـأنه وأن يسـبح في هـذه الزرقـة إلى أن يتبـدل اللـون.. بالنسـبة لي ولـك لـم يكـن يتبـدل، لكـن عيـني (سـليمان) الحساسـتين كانتـا تلحظـان الفـارق.. عندهـا لايعـود النيـل نيلـه، إنمـا هونيـل الآخريـن المتظاهريـن بالشـاعرية.. نيـل (الأفنديـة) كمـا كان يحلولـه أن يدعـوه..

وعندها فقط كان يعود....

أحياناً كان يتوقف بالقارب عند الضفة الأخرى.. ويخرج من الكيس البلاستيكي كتاباً من كتب الجامعة، ويحاول أن يقرأ شيئاً.. كان يدرس الحقوق.. وكان يكره الحقوق.. لكنه كان يحاول بضمير مخلص أن يفعل ما يفترض منه أن يفعله.. والنتيجة: لا شيء.. حروف زائغة ومعان لا تستقيم.. سرعان ما تنزلق عيناه فوق الأوراق لتستقرا على الماء...ولا يدري متى ولا كيف ينغلق الكتاب ليعود إلى الكيس..

هل كان واقعاً في الحب؟. أنا لا أعرف.. لا أحد يعرف.. أراهن على أنه هونفسه لا يعرف.. إن تلك النظرات الخاوية الزائغة أبعد ما تكون عن نظرات إنسان يعرف نفسه..

إذن فيم كان يفكر وهوينظر للماء؟...

متى بدأت القصة؟... أنا لا أعرف.. هولا يعرف.. لا أحد يعرف..

***

الأزرق النيلي.. بداية العالم ونهايته.. هوقبل الأشياء وهوبعد الأشياء...

تقول (عواطف) وهي تحكم ربط الإيشارب النيلي حول عنقها:

ـ «قليلات يفهمن ما أتكلم عنه.. أنا أتحدث عن لحظة

بعينها من النهار.. اللحظة التي يصير فيها النيل أزرق نيلياً فعلاً كما في الكتب.. كما خلقه الله.. تشعر لحظتها أن هذا هوالنيل حقاً وقد نزع عنه أقنعة التكلف والادعاء..»

لا تعرف سر هذا النداء الغامض الذي كان يدعوها إلى النيل في هذه الساعة من كل يوم.. إنها تعيش في (كفر الزيات)، ولم تكن تعاني كثيراً في البحث عن مأمورية ما تدفعها للخروج في هذه الساعة.. إن الوقت حول العصر على كل حال..

كانت طالبة في الثانوية التجارية، ولم تكن رائعة الجمال لكنها كانت ممشوقة القوام.. ولورأيتها وهي تمشي بسمرتها فاردة ظهرها جوار النهر لخيل إليك إنها (إيزيس) ذاتها.. وكأنها تفتش عن أشلاء (أوزيريس) المتناثرة هنا وهناك.. هل ترى ثيابها الرخيصة؟... إنها تهيم حباً بهذه الدرجة من الزرقة بالذات..

كانت ترى ذلك المراكبي العجوز الجالس يدخن والذي لا يفيق أبداً، وذلك الصياد الذي لا يصطاد شيئاً أبداً.. ترى بائعة اللب وذلك الصبي الذي يقف بكيزان ذرة لا يبيعها أبداً..

كلها معالم تحفظها جيداً، وهي تمشي جوار النهر العظيم ذائبة في الأزرق النيلي..

هناك من يعاكسها من هؤلاء الفتية الذين تأخروا في

العـودة مـن مدارسـهم.. تعرفهـم مـن ثيابهـم الموحـدة والكتـب الـتي يحملونهـا.. إنهـم لا يفهمـون لمـشي فتـاة وحيـدة مثلهـا إلا معـنى واحـداً.. وكل واحـد منهـم يتمـنى أويريـد أن يبـدأ قصـة مـاء، لكنهـا لا تبـالي بهـذه السـخافات.. هـذا الذبـاب الـذي يمنعهـا مـن النظـر إلى النيـل بـلا انقطـاع..

تمـشي عـلى النيـل وهـي تنظـر للضفـة الأخـرى بحنـين.. لواسـتطاعت أن ترمـي بنفسـها فيـه.. لوكانـت لهـا حريـة أن تركـب قاربـاً مـن هـذه القـوارب كمـا يفعـل ذلـك الفـتى مفتـول العضـلات هنـاك.. لكـن مجتمعـاً كمجتمعهـا قـاس جـداً عـلى المـرأة ولـن يفهمهـا أحـد..

فقـط الرجـل يحـق لـه أن يخـرج مـتى شـاء.. ويعـود متى شـاء.. ويسـتأجر قاربـاً يجـوب بـه المـاء مـتى أراد.. ولوقـرر في لحظـة أن يـنزع ثيابـه ليثـب في النيـل لمـا أتهمـه أحـد بالوقاحـة.. الوقاحـة الحقيقيـة هـي أن تـرى شـيئاً غريبـاً في هـذا..

كانت تتنهد... ثم تكمل جولتها وتعود..

حقاً هي لا تعرف سر ولعها باللون الأزرق النيلي..

***

الأزرق النيـلي.. بدايـة العالـم ونهايتـه.. هوقبـل الأشـياء وهوبعـد الأشـياء...

يقول (يوسف) وهو يضع في الشص دودة أخرى:

ـ «أنـا لا أتكلـم عـن ذلـك النيـل الـذي تـراه في (السـيما)... نيـل (أحمـد) و(مـنى) وهـذا الهـراء.. النيـل الـذي يدعـوني إليـه هوالنيـل عندمـا يبدونيـلاً.. أزرق.. نيليـاً... جميـلاً صافيـاً.. «

كان يعرف أنه صياد خائب.. أسوأ صياد عرفه في حياته..

لكـن مـا أن يـأتي الوقـت حـتى يجـد نفسـه يحمـل ديدانـه وصنارتـه ويضـع القبعـة القماشـية عـلى رأسـه ويهـرع إلى النيـل.. يمـر جـوار عـم (محمـد عـوف) العجـوز الـذي لا يفيـق مـن الحشـيش والـذي يتظاهـر بأنـه مراكـبي محـترف.. اسـمه (محمـد عـوف).. لقـد أخـبره بهـذا وأخـبره أن الحمقـى يحسـبون اسـمه (محمـد عـصر).. لا يهـم.. عندمـا تصـير في سـني لا يهـم.. إن القـبر لا يبـالي باسـم العظـام الراقـدة فيـه..

يقول عم (محمد):

ـ «لا يمكنـك أن تصطـاد (بسـارياية) واحـدة في هـذا المـكان وفي هـذا الوقـت.. السـمك لا يـأكل الآن يـا بـني.. يجـب أن تنتظـر الغـروب.. واذهـب هنـاك..»

ويشـير بيـده الراجفـة إلى بقعـة مـا يحفهـا ورد النيـل، ويمـر بهـا في هـذه اللحظـة قـارب الفـتى مفتـول العضـلات الـذي يـراه كل يـوم..

كم مرة قالها له العجوز؟.. وكم مرة لم يصغ له..؟

إن الصيـد آخـر شيء يريـده.. كل مـا يريـده – منـذ نعومـة أظفـاره – هـوأن يمـلأ عينيـه بـالأزرق النيلي..والصيـد مجـرد

مـبرر واه..

تلـك الفتـاة الـتي تـأتي كل يـوم تمـر بـه.. معقولـة.. ليسـت جميلـة لكـن جسـمها لا بـأس بـه أبـداً... الغريـب أنـه لـم يشـعر لحظـة في حياتـه بأنـه بحاجـة إلى امـرأة.. هـل هوطبيعـي؟.. لا يعـرف..

***

أنقل هنا كلمات عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر):

ـ «كان ذلـك اليـوم يختلـف.. لـم يعـد واحـد منهـم وقـد بـدأ الليـل يدنـو..

لـم أفهـم مـا يحـدث.. إن عيـني مريضتـان سـقيمتان، لكـن كان بوسـعي أن أرى ذلـك الفـتى (سـليمان) الـذي صـار زبـوني الوحيـد يجـوب النهـر بـإصرار... يـدور بالقـارب وسـط جـزر ورد النيـل.. ثـم يعـود بـلا نيـة للهبـوط عـلى الضفـة..

في اللحظـة ذاتهـا رأيـت أن (يوسـف) الصيـاد لـم يجمـع حاجياتـه ويرحـل.. لقـد كومهـا جـواره وراح يرمـق النهـر في إصرار غريـب.. بعـد قليـل اقتربـت تلـك الفتـاة الـتي تـأتي هنـا كل يـوم.. وقفـت تنظـر للمـاء..

لقد غربت الشمس الآن ولونت الماء بلون أرجواني غريب..

لكـن الفتـاة لـم تغـير وقفتهـا.. وبائعـة اللـب لـم ترحـل.. الـكل يقـف عـلى ضفـة النهـر يرمـق المـاء بـإصرار لـم أفهمـه..

ثم رأيت القارب يدنو أخيراً من الضفة فيترجل منه ذلك الفتى..

صحت منادياً:

ـ «تأخرت اليوم.. إن لنا حساباً خاصاً..»

لكنه لم يقل شيئاً.. فقط وقف مع الواقفين ينظر للماء..

ثم رأيتهم يمسكون بأيدي بعضهم البعض.. لم افهم معنى هذا.. إنهم لا يعرفون بعضهم البعض إلى هذا الحد.. رأيتهم يخطون بخطى ثابتة نحوالماء..

لا تقاطعني!.. أعرف أن كل ما أقوله يحوم حوله الشك.. ستقولون إن الحشيش أطار صوابي.. نعم.. هذا جائز.. لكني أقسم بقبر ابني الأكبر أنني رأيتهم يمشون نحوالماء.. بلا تردد ولا خوف ولا أي شيء.. هل تريد أكثر؟.. أقسم لك أنني رأيتهم يمشون فوق الماء!.. يمشون.. يمشون.. وسط ورد النيل العائم..

ونظرت حولي فلم أر أحداً أشهده على هذا المنظر الرهيب.. لوكان أحد قريباً..

رأيتهم الآن قد وصلوا إلى منتصف النهر ثم بلا أية مقاومة ولا كلمة واحدة رأيتهم يغوصون في الماء.. يغوصون.. لا شيء سوى الفقاقيع.. لا شيء سوى دوامات الماء..

لقد اكتمل الظلام.. ولم أعد أتبين شيئاً إلا هذه البقعة السوداء في وسط النيل والتي أقسم لك إنهم كانوا يقفون

عليهـا منـذ ثانيتـين..

تقـول إنـني أخـرف.. لا ألومـك كثـيراً.؟. أنـا نفـسي أشـك في عقـلي الآن..

لا عليك.. إنس ما قلت.. إنسه...

***

لكني لم أنس ما قال..

لـم أنسـه قـط ومـا زلـت أعتقـد أنهـا لحظـة عابـرة مـن صفـاء الوعـي جعلتـه يـرى مـا رآه.. هـؤلاء الفتيـة كانـوا يتلقـون نـداء النهـر منـذ أعـوام.. فمـا معـنى هـذا؟... ثـم جـاءت اللحظـة وسرعـان مـا اتجهـوا إلى المـاء ليغوصـوا فيـه بـلا اتفـاق مسـبق ولا ترتيـب..

التحول..

هـذه هـي الكلمـة الصحيحـة.. لقـد تـم إعدادهـم لـشيء كهـذا طيلـة حياتهـم.. كان هـذا النـداء الـذي لا يعرفـون كنهـه ورافقهـم عـدة أعـوام.. ثـم تـم التحـول وهكـذا انتقلـوا إلى طـور آخـر مـن حياتهـم.. طـور لا نعـرف مـا بـه..

دودة القـز تلتهـم أوراق التـوت ولا تعـرف السـبب.. وفي لحظة بعينهـا تبصـق خيـوط الحريـر لتدخـل في طـور الشرنقة....

ما اليد الخفية التي اختارت هؤلاء ولأية أغراض؟...

عشرة أعوام أوأكثر من الإعداد..لماذا؟.. هل ليموتوا غرقاً أم ليكونوا أبناء النهر؟

إلام صاروا؟.. ولماذا لم يجد أحد جثثهم قط؟

***

عم (محمد عوف) أوعم (محمد عصر) يجلس عند منتصف الليل جوار النهر..

إن الجوبارد لذا أعد لنفسه هذا (الخوص) الذي يقيه شر البرد، وهوهناك جالس يشرب الشاي ويدخن الجوزة.. ويسعل..

بالنسبة له لا شيء يهم.. رأى هذه الظاهرة أم لم يرها لا شيء يهم.. القبر لا يبالي إن كانت العظام الراقدة فيه قد رأت عجباً أم لا، كما لا يبالي إن كان اسم صاحب العظام (محمد عوف) أو(محمد عصر)..

والحشيش... صديقه الدائم.. لقد دخنه قبل أن يرى ما رآه فلم يستوثق منه.. اليوم يدخنه بعد ما رآه فنسى أكثره...

لكنه سيعرف الكثير بعد دقيقتين.. بعد دقيقة واحدة.. بعد ثوان..

إن الماء يتحرك بجوار الضفة..

يخيل إليه أن شيئاً يرتفع من هناك..

الآن يـرى بوضـوح عـلى ضـوء النـيران ذلـك الشـخص الخـارج مـن المـاء، والـذي ابتـل شـعره واختلـط بالأعشـاب، وانتفخـت ملامحـه كالغـرقى...

لكنه الوجه ذاته..لن ينساه أبداً..

(سـليمان) يقـف هنـاك ويمـد يـده لـه.. وبصـوت مبحـوح خافـت لـم يسـتعمله منـذ زمـن يقـول:

ـ «تعـال يـا عـم (محمـد).. لا تخـف.. سـأريك شـيئاً لـم تـره مـن قبـل..!»

إن المـاء لا يبـالي بأسـماء الجثـث الغارقـة فيـه، إن كانـت (محمـد عـوف) أو(محمـد عـصر).. كمـا أن الحشـيش جعـل جسـدك واهنـاً متراخيـاً عاجـزاً عـن الفـرار أوالـصراخ أو حـتى إلقـاء الأسـئلة..

لا تخف أيها العجوز..

لا تخف..

***

بنفسجي

لون عيني أختها (ميادة) بنفسجي..

لا يمكن أن تتصور مدى تباين الآراء حول هاتين العينين.. كأننا نناقش قضية الشرق الأوسط.. إن أباها يؤكد أنهما زرقاوان.. (مراد) حبيبها يقول إنهما كحليتان.. أستاذ (فكري) قال إنهما سوداوان..

(مها) فقط تؤمن يقيناً أن عيني أختها بنفسجيتان..

الكل يضحك..،.الكل يتهمها بالسخف.. الكل يتهمها بالهذيان.. لكنها واثقة مما تقول..

فيما بعد قرأت أن عيني (تشيكوف) الكاتب الروسي العظيم كانتا علامتي استفهام بالنسبة لكل من تعامل معهما.. لم يتفق أحد قط على لونهما.. هذا يعني أن الأمر وارد.. ثمة أعين لا يعرف أحد لونها يقيناً...

***

لا تذكر متى لاحظت هذه الحقيقة..

ربما لاحظتها يوم جاء (مراد) لدارها أول مرة.. جلس في الصالون متظاهراً بالأدب يصغي لكلام الأب الذي لا ينتهي عن مستقبل المنطقة.. من الغريب أن العبقري الذي يفهم كل طلاسم السياسة والدين والاقتصاد والقانون والطب ليس بعيداً.. إنك تقابله في كل مكان تقريباً.. إنه جارك..

إنـه صديقـك.. إنـه أبـوك.. إنـه أول واحـد تلقـاه في الشـارع لوخرجـت الآن... إذن أيـن الحمقى في عالمنـا؟.. إنهـم المكلفـون رسـمياً بهـذه الأمـور..

كان (مـراد) يتظاهـر بالإصغـاء ويعتـصر كأس العصـير.. كـم تحـب هـذه البسـمة نصـف المهذبـة نصـف السـاخرة عـلى شـفتيه والـتي تراهـا كثـيراً أثنـاء عملـه في الإدارة صباحـاً..

لكـن الابتسـامة تلاشـت عندمـا دخلـت (ميـادة).. صافحتـه وجلسـت جـوار أبيهـا، وتلـك الرائحـة الفواحـة تتصاعـد منهـا.. كان وجودهـا ذاتـه ملموساً كأنهـا طيـف.. طيـف غريـب سـاحر.. وقـد تسـاءلت (مهـا) في دهشـة عـن السـبب الـذي يجعـل أختهـا تتأنـق بهـذا الشـكل -الـذي لـم تـره قـط- لأن عريسـاً جـاء لأختهـا..

تلاشـت الابتسـامة وتظاهـر (مـراد) بعـض الوقـت بأنـه منهمـك لا يلاحـظ، ثـم فجـأة بـدأت عيناه تنزلقـان نحو(ميـادة)... هـذه النظـرة!.. تعرفهـا جيـداً!.. لـن تنخـدع فيهـا!..

الآن صـار يتكلـم ببـطء ويضغـط عـلى كل حـرف.. أحيانـاً ينسى مـا كان يريـد قولـه.. وقـد خرجـت (مهـا) لشـأن مـا، ثـم عـادت لتضبطـه ينظـر إلى (ميـادة) بثبـات وإفـراط بينمـا الأب يثرثـر بـلا انقطـاع.. نعـم.. هـو ينظـر لهـا وإن كان يعطـي انطباعـاً أوليـاً بـأنه ينظـر نحـو الأب.. تذكـرت الشـاعر الأحـول (أبوالعينـاء) الـذي كتـب عـن موقـف مماثـل:

«حمـدت اللــه إذ بـلاني بحبهـا! عـلى حـول يغـني عـن النظــر الشـذر

نظـرت إليهـا والرقيـب يظنـني! نظـرت إليـه فاسترحــت مـن العــذر!!»

هكـذا جلسـت (مهـا) متعكـرة المـزاج، فلـو كانـت هـذه قصـة مصـورة لخـرج الدخـان الأسـود مـن رأسـها كنايـة عـن الغيـظ.. هـذه الأفعـى قـد قـررت أن تفسـد أجمـل ليلـة في حياتهـا حـتى هـذه اللحظـة..

كانـت (ميـادة) جالسـة وقـد أشرق وجههـا كالشـمس، وكانـت تتابـع كل حـرف يقولـه (مـراد) وهـي توشـك عـلى الانفجـار ضحكاً أوتؤمـن عـلى كلامـه كالإمـاء.. بينمـا هـي - (مهـا) – جالسـة كالضيـف الزائـد.. لا دور لهـا عـلى الإطـلاق في أي شيء، ولوجـاء زائـر مـن المريـخ لقـال لـك إن (ميـادة) و(مـراد) حبيبـان يجلسـان في وجـود عاذلـين ثقيـلي الظـل..

عندها أدركت أن عيني (ميادة) بنفسجيتان..

***

كان هذا الشيء يتوهج على الأرض بلا انقطاع..

وانحنت تلتقطه وتتفحصه..

ربمـا كان ورقـة.. لكنهـا أقـرب إلى رقاقـة إلكترونيـة كالـتي نراهـا في الدوائـر المتكاملـة.. دوائـر كهربيـة رسـمت رسـماً عـلى دعامـة

مـن المعـدن.. وكان لهـا بريـق غريـب..

قالت لأختها:

ـ «ربمـا كان مـن الحكمـة أن نتخلـص منهـا.. سـمعت أن هـذه الأشـياء تنفجـر»

قالت لها وهي تدس الرقاقة في حقيبتها:

ـ «لا أعـرف.. ربمـا كانـت مهمة..أنـا لـم أتعـود التخلـص مـن شيء لا أعرفـه»

***

في الصبـاح قابلـت (مـراد) في الإدارة حيـث كان عاكفـاً يصلـح ثغـرة في برنامـج الكمبيوتـر الـذي صممـه..

قالت له في فتور:

ـ «علام اتفقتما؟»

قال وهويواصل قرع المفاتيح:

ـ «لـم نتفـق.. كان هـذا هوالتعـارف.. الخطـوة الأولى.. الخطـوة الثانيـة هـي طلـب يـدك رسـمياً في وجـود أهـلي..»

ثم حك رأسه في دهشة وسألها:

ـ «غريب.. حسبت أنك تابعت المحادثة كلها..»

قالت في شيء من السخرية المريرة:

ـ «(ميادة) تابعت كل شيء..»

هـل يتعمـد أن يغيظهـا أم هوفعـلاً أبلـه إلى هـذا الحـد؟..
لقـد قـال في افتتـان وقـد توقـف عـن الكتابـة:

ـ «أختـك هـذه ظريفـة فعـلاً... والأغـرب أن عينيهـا كحليتان!..
لـم أر في حيـاتي شـخصاً لـه عينـان بهـذا اللون!»

كانـت تعـرف ولـع الرجـال الوحـشي بإثـارة غـيرة النسـاء الـلاتي يحبونهـم.. لهـذا قـررت ألا تحقـق لـه أي انتصـار وقالـت في بـرود:

ـ «أنـت دقيـق الملاحظـة.. لـم أنظـر في عينهـا قـط في حيـاتي..
لكنـك رأيـت هـذا وبرغـم المسـافة بينكمـا.. عبقـري فعـلاً!»

هز رأسه وواصل الطرق على المفاتيح..

لكنهـا قالـت في نفسـها إنـه أحمـق.. إن لـون عيـني (ميـادة) بنفسـجي..

يكفـي هـذا.. هـذه لـن تكـون المـرة الأولى الـتي تظفـر فيهـا (ميـادة) بـكل شيء.. بتقديـر المدرسـين وحـب الأبويـن وهيـام المعجبـين وتصديـق المتشـككين.. كل شيء..

هنـاك قصـة لـ (مـارك تويـن) تحـكي عـن أخويـن أحدهمـا مهـذب متواضـع قانـع، والآخـر وغـد صاخـب مزعـج.. لهـذا كانـوا يعطـون الأول أقـل القليـل مـن كل شيء (لأنـه مـلاك)، بينمـا الآخـر كان يظفـر بأفخـر الثيـاب وأغـلى الألعـاب (لأنـه وقـح يصعـب إرضـاؤه).. الحقيقـة أن هـذا كان سـيناريوحياتها مـع (ميـادة) تقريبـاً..

الأب كان يدلـل (ميـادة) كثـيراً لأنهـا الأصغـر ولأنهـا تشـبه المرحومـة أمهـا.. حـتى في لـون العينـين الأزرق.. وحـتى سـن العشريـن كان يذهـب لكليتها ليصحبها في العـودة، بينما (مها) قديـرة لا يخـشى عليهـا المـرء، لـذا كانـت تواجـه حتفهـا عـلى درجـات الحافلـة كل يـوم وتتلقـى ألـف كـوع في وجههـا..

أمـا حينمـا تمـشي الشـقيقتان معـاً، فقـد كانـت (مهـا) تعـرف أيـن ينظـر الجميـع ولمـاذا.. فلـولا التهذيـب لطلـب منهـا النـاس أن تتنحـى قليـلاً كي لا تحجـب جمـال أختهـا..

في تلـك اللحظـات كانـت تـدرك أن عيـني (ميـادة) لونهمـا بنفسـجي..

***

متى قررت أن (ميادة) لم تعد كما كانت؟

هـذا أيضـاً مـن الأمـور الـتي يصعـب إعطـاء رأي دقيـق فيهـا.. أنـت تفاجـأ بـأن ابنـك الطفـل الـبريء رفيـع الصـوت صـار مراهقـاً خشـن الصـوت والوجـه، فـلا تسـتطيع أن تعطـي تاريخـاً محـدداً حـدث فيـه هـذا.. التغـيرات التدريجيـة تجعـل تحديـد التاريـخ مسـتحيلاً..

الملاحظـة الأولى هـي أن عيـني (ميـادة) ليسـتا بنفسـجيتين دائمـاً.. لا شـك في هـذا.. مـن السـهل أن تقـول إنهـا كانـت واهمة مـن البدايـة.. لكـن لا.. هـي واثقـة مـن حواسـها جيـداً... لـون

عيني (ميادة) صار بنفسجياً ثم لم يعد كذلك، ولا مجال هنا للكلام عن عدسات ملتصقة..

أحياناً أخرى تنظر لـ (ميادة) فتجد أنها كانت حمقاء.. عينا الفتاة بنفسجيتان بقوة..وفي كل مرة تكلم نفسها عن ألاعيب الضوء.. العين البنية الفاتحة تخضر أحياناً أوتبدوذهبية في أحيان أخرى..

لماذا صارت (ميادة) تأكل أقل فأقل؟.... هي لم تكن شرهة لكنها لم تكن فراشة قط..

ثم عادة الكلام أثناء النوم. إن الفتاتين تنامان معاً في غرفة صغيرة حميمة هي نموذج لأية غرفة فتيات في مصر... كانت (ميادة) تنام كالقبر فيما سبق.. بلا أي صوت.. لا شخير.. لا صليل من الأنف.. لا شيء..

في الفترة الأخيرة هي تتكلم.. أولاً تبدأ في الضغط على أسنانها محدثة صريراً.. الصوت الذي يحطم أعصاب (مها) فعلاً.. ثم يبدأ الكلام.. لغة لا يمكن فهمها.. تقول أشياء.. أصوات غليظة.. أصوات خشنة.. أصوات خفيضة.. ضحكات خافتة.. ضحكات مائعة..

ثم..

هل حدثتك عن موضوع الضوء البنفسجي الذي يغمر الحجرة؟.. نعم.. أحياناً تنهض (مها) من نومها مذعورة لتجد أن الغرفة تسبح في ضوء بنفسجي رهيب.. شيء يذكرك

بالغـروب.. وقبـل أن تـصرخ أوتحـاول الفهـم يـزول هـذا التأثـير وتسـتعيد الحجـرة الظـلام المحبـب السـابق.. لقـد فـسرت الأمر أكـثر مـن مـرة بألعـاب الضـوء.. أثـر الظـلام عـلى عـين كانـت نائمـة ثـم فتحـت فجـأة.. مثلمـا تنظـر للشـمس برهـة مـن ثـم تطـاردك في كل ركـن مظلـم مـن دارك..

هـذا بالطبـع لوتغاضينـا عـن جلسـات (ميـادة) وحدهـا في الظـلام تقـرأ!

نعـم.. هـذا صحيـح.. لقـد صحـت (مهـا) أكـثر مـن مـرة ليـلاً لتجـد أن (ميـادة) تجلـس في الظـلام الدامـس وعـلى حجرهـا كتـاب.. وذات مـرة سـألتها عمـا تفعلـه بالضبـط فقالـت (ميـادة) في ارتبـاك:

ـ «لا شيء.. أردت مراجعـة نقطـة في دروس غـد ولـم أشـأ أن أزعجـك!»

متى اتخذت قرارها؟

هذا أيضاً من الأشياء التي لا يمكن أن نحدد لها تاريخاً..

لقـد صحـت ذات يـوم وقـررت أن (ميـادة) ليسـت هـي (ميـادة)..

هذا هوالتفسير الوحيد والمقبول..

***

لعـل هـذا حـدث بعـد اليـوم الـذي جرحـت فيـه (ميـادة) نفسـها وهـي تقطـع برتقالـة في المطبـخ.. وهرعـت (مهـا) مذعورة تحـاول أن تسـاعدها، لكـن هـذه ركضـت إلى الحـوض مرتبكـة وراحـت تغسـل يدهـا مـن الـدم.. دم؟.. لربـع ثانيـة اسـتطاعت (مهـا) أن تـرى السـائل المتدفـق، وعرفـت في قـرارة نفسـها انـه ليـس دمـاً عـلى الإطـلاق.. إن لونـه بنفسـجي...

لـم تسـتطع أن تصـارح أحـداً بخواطرهـا.. إن الإجابـة جاهـزة: أنـت هسـتيرية يـا عزيـزتي.. أمـا الإجابـة الأسـوأ فهـي: أنـت تحقديـن عـلى (ميـادة) لأنهـا تفـوز بـكل شيء وأنـت لا..

هكذا قررت أن تبتلع خواطرها وتصمت....

لكنها قررت أن تفتش حاجيات (ميادة) جيداً..

ذهبـت (ميـادة) إلى كليتهـا في الصبـاح، وكان على (مهـا) أن تهرع إلى الإدارة لكنهـا قـررت أن تأخـذ سـاعة تأخير لهـذا اليوم..

وحدهـا في الغرفـة هرعـت إلى خزانـة ثيـاب فألقـت عليهـا نظـرة خبـيرة.. كانـت تعـرف كل ثـوب وكل شيء هنـا.. ثـم راحـت تفتـش في صناديـق الأوراق الـتي تخفـي فيهـا (ميـادة) (كنوزهـا) منـذ الصبـا.. قوقعـة غريبـة الشـكل. وردة مجففـة.. بطاقـة معايـدة عليهـا قـط جميـل.. الـخ..

لا شيء..

ثم هرعت إلى المكتب ففتحته وراحت تنقب..

لحظـة.. هـذا هوالكتـاب الـذي وجدتـه أكـثر مـن ليلـة بـين

يـدي (ميـادة).. لا يوجـد كتـاب آخـر بهـذا الحجـم وهـذا القطـع.. مـدت يدهـا تفتـش بـين أوراقـه فلـم تـر إلا كتابـاً دراسـياً ممـلاً يـشرح هندسـة الاتصـالات..

لكنهـا في نهايتـه وجـدت شـيئاً.. تلـك الرقاقـة الـتي وجدتاهـا في قريتهمـا...

***

_ «مـا هـذا الضـوء الـذي توهـج للحظـة واحـدة خلـف الشـجرة؟»

ـ «لا أعرف يا (مها)..»

ـ «إذن تعالي نقترب..»

ـ «يخيـل إلي أنـه شيء هبـط مـن السـماء.. هـل تعرفـين كيـف تهبـط تلـك القنابـل وتنفجـر في السـينما؟.. أخـشى أن نكتشـف أنـه لغـم..»

ـ «كلام فارغ.. هل ترين شيئاً؟»

ـ «لا.. لكـن لحظـة.. هـذه الرقاقـة البراقـة.. لا أعـرف سـبب وجودهـا في قريـة كهـذه.. وسـط روث الماشـية.. هـذه هـي الـشيء الـذي هبـط مـن السـماء..»

***

إن الرقاقة الآن في راحتها..

لا يوجد ما ينفي أن تكون هي الشيء الذي تسهر (ميادة) تتأمله ليلاً..

تسربت حرارة جسدها إلى الرقاقة فراحت تسخن.. وتسخن.. ببطء لكن بشكل مؤكد.. إنها تتوهج بذلك الضوء البنفسجي الغريب الذي كانت تراه في الغرفة ليلاً...

انتابها الهلع فقذفت بالرقاقة لتسقط على الفراش، ثم ابتلعت ريقها وراحت تلهث..

هذه الرقاقة لعنة.. لا شك في هذا وهذه اللعنة قد مست (ميادة) فجعلتها تتغير.. لكن.. لعنة؟..

لعنة؟

غريبة هي تلك اللعنات التكنولوجية التي تشبه الدوائر المتكاملة..

ثم خطر لها شيء آخر..

(ميادة) هي التي أسرعت أولاً لترى ما سقط خلف الشجرة.. هي رأت أفلاماً كثيرة للخيال العلمي، ورأت عشرات القصص التي يتم فيها الاستبدال في لحظة.. فجأة لم تعد (ميادة) هنالك.. إما أنها صارت قشرة تضم ذلك الشيء الذي جاء من أجواز الفضاء، وإما أنها تلاشت وهوحل مكانها..ثم خرج من وراء الشجرة ليقول:»لا.. لكن لحظة.. هذه الرقاقة البراقة.. لا أعـــ.....«.. الخ...

وفي هـذه الحالـة لابـد أن الرقاقـة كانـت هـي سـفينة فضـاء ذلـك الكائـن، أولعلهـا جهـاز اتصـال خـاص بـه قـادر عـلى نقـل كيانـه إلى التعـس الـذي يمسـك بهـا..

هل هذا معقول؟

غـير معقـول.. لكـن مـا يحـدث لـ (ميـادة) غـير معقـول كذلـك.. أنـت تحتـاج لأكـثر التفسـيرات سـخفاً كي تفـسر أكـثر الظواهــر غرابــة..

مـاذا تفعـل؟.. لا تسـتطيع أن تقتـل (ميـادة) ببسـاطة لأن (كائنـاً فضائيـاً يسـكن فيهـا).. لكـن هنـاك حـلاً أقـرب إلى المنطـق ولسـوف تنفـذه هـذه الليلـة...

***

كنت أنا الطبيب النفسي الذي تولى علاج (مها)..

قلـت لـلأب والأخـت (ميـادة) وأنـا أخـط آخـر ملاحظـاتي في دفـتري:

ـ «القصـة بسـيطة جـداً ونسـمعها مئـات المرات.. إن شـعورها بالظلـم وبأنهـا لا تنـال مـا تسـتحق أدّى بعقلهـا الهـش إلى جنـون اضطهـاد كامـل.. هكـذا ولـدت هـذه القصـة عـن أختهـا الـتي ليسـت أختهـا.. ثـم هـذا المشـهد الدرامـي الأخـير..»

قال الأب وهويرتجف:

ـ «هل تسمح لي بالتدخين؟»

هـزت رأسي في ضيـق أن نعـم، فأشـعل لفافـة تبـغ بيـد راجفـة وقـال:

ـ «لا أتصـور مـا حـدث.. أصحـو في الرابعـة صباحـاً لأصـلي الفجـر فأجـد (مهـا) واقفـة في المطبـخ تحـاول حـرق تلـك الدائـرة الـتي تحتفـظ بهـا أختهـا لأسـباب دراسـية.. وحينمـا حاولـت منعهـا راحـت تـصرخ في هسـتيريا.. تقـول إن (ميـادة) ليسـت (ميـادة) وإنمـا قـشرة يتخفـى فيهـا كائـن فضـائي.. لقـد جـاء الجـيران واحتجنـا إلى تقييدهـا لنحملهـا إلى المستشـفى.. لكنهـا لـم تكـف عـن الـصراخ لحظـة..»

قلت وأنا أكتم أنفاسي تفادياً لكل هذا الدخان:

ـ «كل هـذا يحـدث كثـيراً جـداً.. فقـط كل إنسـان يعتـبر حالتـه فريدة..»

سألني في لهفة:

ـ «هـل أنـا السـبب؟.. هـل تعتقـد أنـني فرقـت في المعاملـة بينهمـا حقـاً؟»

قلت في برود:

ـ «يصعـب عـلي أن أحكـم مـا دمـت لـم أر.. لكـن الإحصـاءات تؤكـد أن هـذا هـو الحـال لـدى ٨٠٪ مـن الآبـاء.. لسـبب مـا يظفـر أحـد الأخـوة بـكل شيء.. وهـذا يوقـع الآخريـن في مصيـدة الاحتيـاج للحـب وانعـدام الثقـة بالنفـس أبـداً... أنـا أؤمـن أن كل مـرض نفـسي جـاء مـن خطـأ تربـوي أو خلـل وراثي.. لكـن

أرجـو ألا يكـون أوان العـلاج قـد فـات..»

تأهب للنهوض فقلت له:

ـ «سـوف تبقـى هـي في المصحـة كمـا اتفقنـا وإن كنـت أفضـل أن تبقـى أختهـا معهـا.. هـذا مهـم للعـلاج..»

هـز رأسـه موافقـاً.. كان بوسـعه الآن أن يوافـق عـلى أي شيء.. إن الإحسـاس بالذنـب هـذا..

مـرت دقائـق بعـد انصرافـه، و(ميـادة) تجلـس أمامـي صامتـة تعبـث ببقايـا لفافـة التبـغ الـتي كان أبوهـا يدخنهـا.. بعـد قليـل نهضـت فأغلقـت البـاب وأضـأت النـور البنفسـجي المريـح للعـين لأنـه يذكرنـا بوطننـا..

قالت لي:

ـ «سوهاك.. إياهواه سيبلا تنموكوانهار شيفن كاه..»

فقلت لها في حزم:

ـ «سـوف نتكلـم العربيـة.. كفـاك مـا اقترفـت مـن أخطـاء حـتى هـذه اللحظة..»

ثم سمحت للون البنفسجي أن يتألق في عيني وقلت لها:

ـ «كنـت سريعـة الخاطـر عندمـا اقترحت اسـمي لأعالـج (مها).. إنهـا الآن في قبضتنـا ولـن تفـر ومهمـا تكلمـت لـن يصدقهـا أحـد.. لكنـك كنـت بلهـاء عندمـا سـمحت لعينيـك بـأن تتألقـا باللـون البنفسـجي... حمقـاء عندمـا رحـت تخاطبينـني عـبر الشريحـة في الظـلام.. لقـد كشـفت عـن أشـياء كثـيرة جـداً..»

بـدا عليهـا الحـرج في الضـوء البنفسـجي المريـح للعينـين، فقلـت لهـا:

ـ «لقـد تـم تحولنـا منـذ شـهرين.. هنـاك خمسـة منـا الآن في مـصر وعـشرون في الولايـات المتحـدة وخمسـة في فرنسـا وأربعـة في اليابـان.. يجـب أن نظـل في دائـرة الظـل إلى أن يـزداد عددنـا أكـثر فأكـثر وعندهـا نـضرب ضربتنـا.. ليـس قبـل ذلـك.. صدقيـني»

***

الفهرس

المقدمة 5
أحمر 7
برتقالي 31
أصفر 47
أخضر 65
أزرق 89
نيلي 105
بنفسجي 121

في **كيان للنشر والتوزيع**، هدفنا نشر كل إنتاج إبداعي، جودته عالية، وأفكاره أصيلة، في مختلف مجالات الأدب والسياسة والصحافة والفن، باللغة العربية والإنجليزية. نهتم بالمواهب، ونرعاها، ونتيح لها فرصة الوصول للقارئ العربي، مع مراعاة أفضل معايير الجودة والاحترافية في النشر.

رسالتنا في كيان، تشجيع حب القراءة والكتابة في مصر وعالمنا العربي، وتطوير مهارات الإبداع، وتعزيز ثقافة التميز والابتكار. كُتَّابنا موهوبون، متمرسون، مصريون، ومن جميع أنحاء الوطن العربي، وإصداراتنا متنوعة، متميزة، مختلفة. دائمًا نرحب بالكتاب الشباب، والمواهب الجديدة، ونعطي فرصة متساوية للجميع؛ لأن مرادنا هو الارتقاء بفنون الأدب العربي ككل، والوصول بالإنتاجات الابداعية العربية إلى العالمية.

لو تحب **تراسلنا**، لو عندك استفسار، لو حابب ترسل لنا إنتاجك الأدبي، سواء كان رواية، أو شعر، أو مقال، باللغة العربية أو الإنجليزية، ما تترددش.
ابعت لنا على:

kayanpub@gmail.com
info@kayanpublish.com

أو زور موقعنا:

www.kayanpublish.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235688678 -0235611772**
هاتف محمول: **01001872290/ 01000405450**

ويمكنك التواصل معنا إلكترونيًا على الروابط التالية، للاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتَّابنا الثقافية:

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing